# من الأســرار البلاغية

# في

## الأساليب الإنشائية في ديوان ابن حمديس الصقلي

إعداد

د/ إيمان سعيد حسن موسى عبد السلام

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات

الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

البلاغة العربية رصد دقيق للسان العربي، وهي رصد لذلك اللسان في أعلى وأرقى تجلياته، حيث الشعر العربي، الذي شغف به العرب لما فيه من القيم العالية الرفيعة، ولما فيه من عرض أخاذ لتلك القيم، فحمل ذلك الشعر مشعل القيمة والحث عليها، مزيناً بلغة رفيعة عالية وثوب قشيب.

وعليه فمن الطبيعي، أن يتجه الباحث صوب القرآن الكريم ليبحث عن البلاغة فيه، ويتجه صوب البيان العربي ليبحث عن البلاغة فيه، وهو ما قمت به في هذا البحث.

فشعر ابن حمديس من الشعر المتصف بالقوة والمتانة بين شعراء عصره في صقلية والأندلس وإفريقيا، فيجد فيه الدارس معاني ثرة، تملى على قلمه سيلاً عظيماً من تلك المعاني، ويجد حينئذ أنه أقام شعراً خلاقاً صادقاً يعبر عن نفس الشاعر، وما يحيط بها من أحداث، والنفس الإنسانية عظيمة الشأن، ولا يستطيع البشر أن يعرفوا ما يعتمل في داخلها، فضلاً عن أن يحيطوا به، فالشعر الذى يعبر عن تلك النفس لا شك أنه شعر فياض، متداخل، متشابك، تصعب فيه الكلمة الفصل.

فإذا جئنا للأساليب الإنشائية خصوصاً نجد لغة مختلفة من لغات الشعر، نجد تلك الأساليب تنحو منحى دعوة الآخرين للمشاركة، أو هي تثيرهم لتدفعهم دفعاً للمشاركة، لذا اتجهت لدراستها، ومحاولة رصد سياقاتها التي جاءت فيها.

وقد اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي في تتبع الأساليب الانشائية ، وتحليلها واستخراج المعاني المقصودة منها.

**وكان من أسباب اختياري لهذا الموضوع ما يلى**:

(١) قلة وجود الدراسات التي تعتنى بدراسة شعر ابن حمديس، والتي تبرز أهم السمات الفنية والخصائص الأسلوبية التي يتميز بها شعره.

(٢) إظهار الذوق العام الذى يتسم به الشعراء في الأندلس وصقلية في تلك الحقبة من الزمن التي عاشها ابن حمديس بين الأندلس وإفريقيا.

(٣) رصد الأساليب الإنشائية في شعر ابن حمديس والكشف عن المعاني المجازية التي تضمنتها.

(٤) وصف أنماط الجملة الإنشائية كما جرى عليها واقع الاستعمال في ديوان ابن حمديس.

**وقد اقتضت طبيعة البحث أن تسير الخطة وفق التقسيم التالي**:

- **المقدمة:** وتشتمل على بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والخطة التي سرت عليها في البحث، والمنهج المتبع في الدراسة.
- **التمهيد:** ويشتمل على:

**أولاً**: التعريف بابن حمديس.

**ثانياً:** خصائص شعر ابن حمديس الفنية .

**وبعد التمهيد تتوالي فصول البحث على النحو التالي**:

**الفصل الأول**: **الاستفهام في شعر ابن حمديس**:

وقد درسته من حيث معناه، وأشهر أدواته في شعر ابن حمديس، ومعانيها البلاغية.

وفيه سبعة مباحث:

**أولاً**: الاستفهام في الوصف.

**ثانياً**: الاستفهام في الرثاء.

**ثالثاً**: الاستفهام في الغزل والديار.

**رابعاً**: الاستفهام في الحنين للشباب وبغض الشيب.

**خامساً**: الاستفهام في الحكمة والزهد.

**سادساً**: الاستفهام في المدح.

**الفصل الثاني**: **الأمر والنهى في شعر ابن حمديس**:

وقد درستهما من حيث معناهما، وصيغتهما، ومعانيهما البلاغية في شعر ابن حمديس.

وفيه ستة مباحث:

**أولاً**: الأمر والنهى في الوصف.

**ثانياً**: الأمر والنهى في الحنين إلى الديار والشباب.

**ثالثاً**: الأمر والنهى في الرثاء.

**رابعاً**: الأمر والنهى في المدح والغزل.

**الفصل الثالث**: **أسلوب النداء في شعر ابن حمديس**:

وقد درسته من حيث معناه، وأدواته، ومعانيها البلاغية في شعر ابن حمديس.

وفيه ثلاثة مباحث :

**أولاً**: أسلوب النداء في المدح.

**ثانياً** :أسلوب النداء في الزهد والحكمة .

**ثالثاً**: أسلوب النداء في الرثاء.

**الفصل الرابع**: **أسلوب التمني في شعر ابن حمديس**:

وقد درسته من حيث معناه، وأدواته، ومعانيها البلاغية في شعر ابن حمديس.

**الفصل الخامس**: **الإنشاء غير الطلبي**:

وفيه درست أنواع الإنشاء غير الطلبي التي وردت في شعر ابن حمديس.

وحوى هذا الفصل ثلاثة مباحث:

**أولا**: القسم.

**ثانياً**: المدح والذم.

**ثالثاً**: كم الخبرية.

ثم ختمت البحث بخاتمة بينت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، وألحقت بها الفهارس الأتية:

(١) فهرس المصادر والمراجع.

(٢) فهرس الموضوعات.

وفى الختام أشكر المولى ﷻ على ما أنعم به علىّ من إعداد هذا البحث الذى لا يعد وأن يكون جهد المقل، وحسبي أنى بذلت كل ما في وسعى وطاقتي للوصول به إلى هذا المستوى، ولا أدعى أنى وصلت به إلى درجة الكمال، فالكمال لله وحده، والمجال لا يزال مفتوحاً أمام من ينشد المعرفة، ويحرص على خدمة العلم والأدب.

**والله ولى التو فيق،**

الباحثة

د / إيمان سعيد حسن

# التمهيد

**ويشتمل على:**

**أولاً: التعريف بابن حمديس.**

**ثانياً: خصائص شعر ابن حمديس الفنية .**

## أولاً : التعريف بابن حمديس

ابن حمديس الصقلي : [١]

في مدينة سرقوسة الرابضة على سواحل جزيرة صقلية الشرقية، كان مولد عبد الجبار بن حمديس المكنى بأبي محمد عام ٤٤٧هـ – ١٠٥٥م يتصل نسبة بقبيلة الأزد الكهلانية، إلا أنه لم يفتخر بنسبه هذا في شعره مثلما يفتخر بأنه من بني الثغر، فهو يعتز بوطنه أكثر من اعتزازه بقبيلته.

نشأ ابن حمديس في أسرة عربية محافظة تتمسك بأهداب الدين، ويميل أكثر أفرادها إلى الزهد والنسك، ويتصفون بالبر والتقوى، وقد عاش جده ثمانين عاماً قضاها في العبادة والنسك، [٢] ويشير إلى ذلك في قوله: [٣]

**تنسك في برِ ثمانين حجة فيا طول عمر فر فيه إلى الرب**

**ثقافة ابن حمديس:** لقد كان للبيئة التي عاش فيها ابن حمديس دور كبير في تحديد ألوان الثقافات التي تلقاها، فقد تزود بالثقافة الدينية منذ حداثته ، فحفظ القرآن الكريم، وألم بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقرأ القصص والأساطير التي كانت شائعة في عصره، كما طرق أذنه كثير من أخبار المسلمين وسيرهم، وعكف على قراءة الشعر الجاهلي، فتعلق به واستعذبه ،

(١) أنظر: الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. روما. ١٧٧٨.
(٢) ابن خلكان ،أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ٢/٣٨١.
(٣) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠، ص ٣٦.

وتأثر بشعرائه،[١] وقبس عن كل واحد منهم، وقد ظهر ذلك جليا في شعره ، كما اتسعت ثقافته وتنوعت، فقد ألم إلماماً كبيراً بالعروض والنحو، وطبائع الحيوان، والفلك والفلسفة، كما ألم ببعض المعارف الطبية، وشغف بالتاريخ شغفاً كبيراً، وقد بلغ من كلفه به أنه ألّف كتاباً في " تاريخ الجزيرة[٢] الخضراء" لم يصلنا منه شيء .

**وفاته:** [٣] بلغ ابن حمديس من العمر نحو الثمانين وقد كُفّ بصره ، وكان يوماً قد دخل "على صاحب بَوْنَة ،كَرامَةَ بنِ المَنصُور بعد أن كُف بصرُهُ فقال: كيف حالُ الشيخ؟ فقال: كيف حال مَن كان صاحبَ عَينَينِ فصَارتا غَينَينِ . فاستحسنَ كلامَه وقال خُذ هذه العصَا وتعكز عليها فمدّ يدَه فوجده غُلامًا باعه بعد ذلك بثلاثين ديناراً "[٤]، وبذلك تحول حال ابن حمديس من القوة إلى الضعف، أضعفته النكبات المتتالية في حياته، أضعفته الأحزان التي عاشها من طول الغربة، وفقد جاريته، ثم زوال دولة المعتمد، وسقوط صقلية، وأخيراً بلوغه من الكبر عتياً.

وفي شهر رمضان سنة ( ٥٢٧ هـ) لم يعد جسده يقوى على الحراك، فأسلم الروح إلى بارئها في غربة مرةٍ لا أنيس بها ولا قريب، توفي ودفن في جزيرة

(١) عيسى، فوزي سعد: الشعر العربي في صقلية ، ص ٣٧٨.
(٢) حاجي خليفة، مصطفى ابن عبد الله: كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ج١ استنبول، وكالة المعارف، ٢٩٠ ص .١٩٤١.
(٣) الموسوعة العربية – ابن حمديس الصقلي (أ .ب .ت . ج )، ابن خلكان ج٣ ،١٩٧٢ 214 /أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. دار الكتب العلمية، بيروت./الزركلي خير الدين .(2002) الأعلام .دار العلم للملايين. ج/٣ /،274 .
(٤) معجم السفر: السلَفي، ص ٢٧٨ .

ميورقة[١]، ودُفِن إلى جانب قبر ابن اللبانة الشاعر المشهور، وقيل: إنه مات في بِجَاية[٢] في الجزائر، ويرجّح أنه دفن في بجاية، لأن الذي دفن في ميورقة بجانب ابن اللبانة هو أبو العرب الصقلي، فخلط الناس بينه[٣].

## ثانياً :خصائص شعر ابن حمديس الفنية

**لقد مر الشعر في الأندلس بأطوار ثلاثة:**

الطور الأول: طور المحاكاة للشعر في المشرق " إذ كانت الفكرة الأساسية عند من يريد أن يكتب شعرًا أن يكون على نمط الشعر من القدماء أو العباسيين، فالشاعر لم يحاول أن يخضع الشعر العربي لشخصيته بل رأيناه هو يخضع له، فهو يخضع لموضوعاته المعروفة في المشرق كما يخضع لأفكاره ومعانيه وأخيلته وأساليبه "[٤]

الطور الثاني: هو الحقبة التي امتدت خلال القرن الخامس وفيها أخذ الشعراء يصدرون عن حاضرهم ويمثلون بيئتهم ومظاهرها مع الأخذ يحظ من التقليد

(١) جزيرة في شرقي الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها ميورقة، بالنون، كانت قاعدة ملك مجاهد العامري، وينسب إلى ميورقة جماعة، منهم: يوسف بن عبد العزيز أبو الحجاج الميورقي الأندلسي الفقيه المالكي. انظر: معجم البلدان: الحموي، ج ٥، ص ٢٤٦ .

(٢) مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، كان أول من اختطّها الناصر بن علنّاس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكّين، في حدود سنة ٤٥٧ هـ. انظر: معجم البلدان: الحموي، ج ١، ص ٣٣٩.

(٣) انظر: وفيات الأعيان: ابن خلكان، ج ٣، ص ٢١٥ ، انظر: شعراء العرب والمغرب والأندلس: يوسف عطا الطريقي، د. ط، (عمّان، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧ م، ص ١٠٦ ، انظر: الأعلام: الزركلي، ج ٣، ص ٢ انظر: العرب في صقلية: إحسان عباس، ص ٢٣٩.

(٤) ديوان ابن حمديس /ص/١٧.

ويمثل شعراء ملوك الطوائف الذين يرجعون طرافة البيئة إلى معاني الشعراء السابقين وفي نهاية هذا القرن تم انتصار الجديد واتسعت حركة الموشحات.

أما الطور الثالث: فيضم شعراء القرن السادس وما بعده وفيه أخذ الشعراء يمثلون البيئة وتجتمع لهم الحداثة والجدة ويمثل هذا الطور من الشعراء ابن حمديس، ابن عبدون، ابن خفاجة، ابن سهل، ولسان الدين الخطيب وابن زمرك [١] وغيرهم.

اذن يقترن اسم ابن حمديس بالحداثة والجدة حتى قال عنه ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ما نقله عنه ابن خلكان (هو شاعر ما هو يقرطس أغراض المعاني البديعة ويعبر عنها بالألفاظ النفيسة الرفيعة ويتصرف في التشبيه المصيب ويغوص في بحر الكلم على درر المعنى الغريب) [٢].

ومن يقرأ ديوان ابن حمديس يستطيع أن يستخرج مجموعة من المميزات التي امتاز بها شعره وهي:

١/ رهافة الحس ورقته إذ أن بيئة صقلية الوارفة الظلال والكثيرة الأنهار وبيئة الأندلس الخلابة جعلت حسه مرهفًا ورقيقًا فلذا ترق قصائده حتى تشبه الطبيعة الصقلية والأندلسية الجميلة في رقتها وعذوبتها[٣].

(١) ينظر في تاريخ الأدب العربي أحمد حسن الزيات / ص/ ٣٣٦.
(٢)ديوان ابن حمديس / ص /٩٤.
(٣، ٣) ديوان ابن حمديس /ص/١١٧

وكان وصف الطبيعة عنده يصدر عن طبع لا تكلف فيه ولا صناعة فهو يقبل عليها بثقافته الشعرية فيتأملها ويستخرج من المعاني أروعها فيبدو عالم الطبيعة في حركة وزينة وطرب. (١)

٢/ أن اعتزازه بأصله العربي جعله يقلد الأقدمين في افتتاح بعض قصائده بوصف الأطلال ووصف الناقة وذكر الصحراء وما يتعلق بها وهو يحتذي معاني القدماء والمحدثين فهو يتحدث عن الأطلال حديثًا مؤثرًا ثم يتبع مذهب ابي نواس في السخرية منها الهتاف بالخمر في ظل الطبيعة الوارفة. (٢)

٣/ حين تعرضنا لبيئة الشاعر عرفنا أن وترا من التدين قد تحكم في حياته فلذا نراه يحث أهل قومه على محاربة الغزاة من أهل السبت ومن أهل الأحد اليهود والنصارى كما سماهم وأن مثل هذا العمل جهاد في سبيل الله أي أن الروح الجهادية تظهر بارزة في قسم من شعره.(٥)

(٤)ديوان ابن حمديس /ص/٧٠.
(٥) انظر ديوان ابن حمديس /ص/١٨.

# الفصل الأول
# الاستفهام في شعر ابن حمديس

**وفيه سبعة مباحث:**

**أولاً: الاستفهام في الوصف.**

**ثانياً: الاستفهام في الرثاء.**

**ثالثاً: الاستفهام في الغزل والديار.**

**رابعاً: الاستفهام في الحنين للشباب وبغض الشيب.**

**خامساً: الاستفهام في الحكمة والزهد.**

**سادساً: الاستفهام في المدح.**

**سابعاً: فروق في استعمال الاستفهام في هذه الأغراض.**

## أسلوب الاستفهام

الاستفهام في اللغة طلب الفهم، وذلك لأن الهمزة والسين والتاء، إذا زيدت في أول الفعل الثلاثي أفادت معنى الطلب « استفهم: سأله أن يُفهمه »[١] وهو بهذا المعنى سؤال عن أمر يجهله السائل، إلا أن بين الاستفهام والسؤال بعض الفروق، ففي اللسان: « سألته عن الشيء سؤالاً ومسألة....وسألته الشيء بمعنى استعطيته إياه.... وسألته عن الشيء استخبرته »[٢] وفى المعجم الوسيط:« سأله عن كذا، وبكذا، سؤالاً وتسآلاً ومسألة: استخبره عنه »[٣] وعلى هذا يكون معنى السؤال طلب المعرفة فيكون بمعنى الاستفهام، كما يكون معناه طلب العطاء، وهو حينئذ السؤال والمسألة، ويُستخلص مما تقدم أن السؤال أعم من الاستفهام، ولهذا استخدم مصطلح السؤال بمعنى الاستفهام.

**ما يسأل عنه في الاستفهام**:

**أولاً:** التصديق: وهو إدراك النسبة أو الحكم، أو العلاقة القائمة بين المسند والمسند إليه.

**ثانياً**: التصور وهو: إدراك أحد أجزاء الجملة.

**أقسام الاستفهام من حيث المستفهم عنه:** [٤]

**أولاً**: ما يستفهم به عن المفرد والنسبة« التصور والتصديق، »"الهمزة ".

**ثانياً:** ما يستفهم به عن الحكم " النسبة " " هل ".

**ثالثاً:** ما يستفهم به عن المفرد " التصور " فقط وهو باقي أدوات الاستفهام.

ولعل تنوع أدوات الاستفهام بين الاسمية والحرفية والبناء والإعراب والظرفية وغير الظرفية، قد وفر لها تنوعاً في المعاني والدلالات النفسية والجمالية في الجملة الاستفهامية.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ط٣.

(٢) المصدر نفسه، مادة (سأل).

(٣) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط٢.

(٤) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، ط٢، صـ١٦٨.

**الخصائص الجمالية لأسلوب الاستفهام**:

**أولاً**: تكثيف المعاني واختصار الألفاظ، حيث يقول ابن جنى:« ألم تسمع إلى ما جاؤوا به من الأسماء المستفهم بها، والأسماء المشروط بها كيف أغنى الحرف الواحد عن الكلام الكثير المتناهي في الأبعاد والطول. فمن ذلك قولك: أعشرة مالك أم عشرون أم ثلاثون أم مئة أم ألف ؟ فلو ذهبت تستوعب الأعداد لم تبلغ ذلك أبداً ؛ لأنه غير منتاه، فلما قلت: " كم " أغنتك هذه اللفظة الواحدة عن تلك الإطالة غير المحاط بآخرها، ولا المستدركة. (١)

**ثانياً**: التنوع في المعاني المقصودة، وقد فصل القول في ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني في معرض كلامه على دلالة التقديم والتأخير في الاستفهام، وقال في ذلك:« ومن أبين شيء في ذلك الاستفهام بالهمزة، فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت: أفعلت؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت: أأنت فعلت ؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو وكان التردد فيه»(٢)

**ثالثاً**: التلوين الصوتي الذى يحققه الاستفهام في بداية الكلام، وهى سمة تمتاز بها الأساليب الإنشائية عموماً.

**رابعاً**: من أعظم جماليات أسلوب الاستفهام، تلك المعاني البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام حين يكون على غير حقيقته الأصلية، فيكون أدل على المعنى المقصود، إضافة إلى ما يطبع به النص من دلالات نفسية وجمالية، وهو ما سيأتي بيانه لاحقاً في موضعه إن شاء الله تعالى.

وفيما يأتي عرض لبعض الأساليب الانشائية في ديوان ابن حمديس ومعانيها البلاغية :

---

(١) ابن جنى: الخصائص، ج ١، صـ٤٢.

(٢) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ط٢، صـ٨٨.

## المعاني البلاغية للاستفهام في ديوان ابن حمديس

### أولاً: الاستفهام في الوصف:

#### (١) الاستفهام بالهمزة:

**أَأَكْسُو المَشِيبَ سَوَادَ الخِضَابِ فأجْعَلُ للصَّبحِ لَيلاً غِطَاءَ**[١]

يتحسر الشاعر على شبابه الذى ولى، وظهر الشيب برأسه، فأصبح مصدر إزعاج له، حيث أفقده عناصر مهمة في غربته وانجذاب الآخرين له، بينما يعطيه مؤشرات واضحة للعمر الذى بلغه كامتداد الشيب في شعره، فأخذ يتساءل ما يفعل بهذا البياض الذى ملاء شعره مع تقدم سنه، أيقوم بصبغه بالخضاب ؟ وهل هذا الخضاب يفيد شعره ويجعله أسوداً كما كان، ويتغير الصبح بياضه إلى ليلاً أسوداً ؟

فالاستفهام بالهمزة في قوله " أأكسو " ليس على حقيقته وإنما خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر وهو التحسر.

وقوله: [٢]

**أذابلُ النَرجِس في مُقلَتيكْ أَمْ نَاضِرُ الوَرِد عَلَى وجْنَتَيكْ**

**لا تنكري أنك حوريةُ فنفحةُ الجنَة نَمتْ عليك**

**وعقرباً صِدْغَيكِ من عَنْبَرٍ سَمَّهُما ويلاهُ من عقربيك**

يتغزل الشاعر بجمال فتاته، ويصفها وصفاً مفصلاً، عن طريق الاستفهام" أذابل " حيث يتساءل هل أذاب النرجس لونه الرائع في مقلتيها ؟ وهل ما يراه ورد على وجنتها أم هو ورد حقيقي ؟ وقد أكد كلامه هذا عن طريق التشبيه، حيث جعل مقلة عينها تشبه لون النرجس في الجمال، كما جعل وجنتيها في شدة الاحمرار تشبه حمرة الورد، ثم شبهها بحورية من حوريات الجنة في جمال رائحتها وشدة جمالها، ثم جعل صدغها وريحته أشبه برائحة العنبر في طيب رائحته، وقد

---

(١) ديوان ابن حمديس: صـ٣.
(٢) الديوان: صـ٣٤٥

استعان الشاعر في صورته التشبيهية هذه بمظاهر الطبيعة المختلفة، واستلهم صورته من البيئة الخارجية فقد ذكر النبات " النرجس، الورد، العنبر " كما ذكر الحشرة " العقرب "، ولعل هذا كان لازماً لاستحضار الشاعر ليشكل صورة ملؤها الابتكار والتجديد، فيها السحر والعذوبة، إلا أنه قد أخفق بذكره " للعقرب " وهو حشرة ضارة، ولعل هذا قد أثر في رقة صورته وجمالها شيئاً يسيراً، وقد استطاع الشاعر أن يؤكد معناه هذا عن طريق الاستفهام في قوله " أذابل " الذى خرج من معناه الحقيقي إلى معنى مجازى وهو التعجب من جمال هذه المحبوبة والمبالغة في شدة جمالها.

وقوله: (١)

**أَلا كَمْ تُسْمعُ الزَمَن العِتَابا ... تخاطبُهُ ولا يَدرى الخِطَابا**

**أتطمعُ أن يردّ عليك إلفاً ... ويَبْقى ما حييتَ لك الشبابا**

**ألم تَرَ صرفه يُبلى جديداً ... ويتركُ أهلَ الدّنْيا يَبَابَا**

اشتملت هذه الأبيات على استفهامات متتابعة، استعان بها ابن حمديس للتعبير عن حالته النفسية، وما يمر به من حزن لفراق أهله وذويه، حيث نجد الاستفهام في قوله " ألا، كم – أتطمع – ألم تر " فالاستفهام الأول " ألا كم" جاء متضمناً معنى التقرير، وابن حمديس أراد من وراء ذلك تقرير هذه الحقيقة وهى: أن الزمان لا يعقل ولا يدرى الخطاب، فكيف تسمعه العتاب وتخاطبه، وهذا التقرير الذى أتى بمعنى التحقيق والتثبيت ضمن حمل المخاطبين على الإقرار بتلك الحقيقة بأن الزمن لا يعقل ولا يرد.

كما أفاد قوله " ألا " التنبيه والحث والحض على السؤال، وأيضاً إبراز عدم جدوى محاولة الإنسان وهذا ليس معناه أنها فقدت روح الاستفهام، حيث يظل الاستفهام قسيماً لها، ففي هذه الجملة تنبيه وعتاب ولوم بعدم حدوث فعل يريد الشاعر أن يحدث.

---

(١) الديوان: صـ١٤.

أما الاستفهام في قوله " أتطمع أن يرد عليك إلفاً " فأتى متضمناً معنى التمني، فهو يطمع أن يرد عليه وليفه، كما يتمنى أن يظل شاباً ما بقى له من العمر، ولكن هيهات فهذا أمر مستبعد غير متحقق الحصول.

أما الاستفهام في قوله " ألم تر صرفه..."غرضه التقرير وقد دخلت الهمزة على جملة منفية " لم تر " وهى في هذه الحالة تفيد التقرير، وكأن الشاعر يقرر هذا الأمر وهو: أن صروف الزمان لا تفنى جديداً، ولا تبقى على أهل الدنيا يبابا.

وهكذا نجد السياق بكل مكوناته بما في ذلك صيغ الاستفهام المتصدرة الأبيات بدلالتها، وصوتها يتعاضد في تصوير ما يحمله الشاعر من ألم وحرقة لفقد الأهل والخلان بلا إفراط، ولا تفريط، بل بقصد واستيفاء يناسب المقام.

وقوله: [1]

**أَلَمْ أَكُ في الغَرَقَّى مُشِيْراً بِرَا حَتِى فَلَم أنجُ إلاَّ مِنْ لِقَاءِ حِمَامِى**

يتوجه الشاعر معاتباً وموبخاً لابن عمه الذى دعاه للرجوع إلى صقلية، وكان ابن حمديس قد حاول العودة بالفعل، ولكن القدر منعه من الوصول لغايته، حيث غرق مركبه وجاريته جوهرة التي كان لها مكانة عالية في قلبه فالاستفهام " ألم أك " قد دخلت همزة الاستفهام هنا على جملة منفية " لم أك " وقد أفادت معنى التقرير ومجيء النفي بعد هذا التقرير أفاد التوبيخ والعتاب بمعنى أنه جعل « التقرير مقروناً بالتوبيخ، فالتقرير مفهوم من الاستفهام، والتوبيخ والعتاب مفهوم من النفي »[2] فهو في غاية الحزن والألم لما حدث له ، وفى غاية الحسرة على جاريته التي فقدها وقد أكد كلامه هذا أيضاً عن طريق القصر بالنفي والاستثناء " فلم أنج إلا..." مما أضفى على كلامه رونقاً وجمالاً.

وقوله: [3]

---

(١) الديوان: صـ٤٣٤.

(٢) بتصرف من: نظرات في أسلوب القصر والإنشاء دكتور/محمد إبراهيم شادي، دار مطبعة التركي، ١٤١١هـ، صـ٤٨.

(٣) الديوان: صـ٤٥.

**أَشِـــهَاب في دُجَـــى اللّيـــل ثَقـــبْ أَمْ سِـــــراجُ نـــــارُهُ مـــــاءُ العِنَـــــبْ**

**أَمْ عَـــروسُ فَـــوْقَ كرســـي يَـــدِي يَجْتَلِيهَـــا اللـــهوُ في عقـــدِ الحَبْـــب**

يمدح الشاعر الأمير يحيى بن تميم بن المعز بأوصاف في غاية الجمال، مستعيناً بالاستعارة لإيضاح المعنى وبالاستفهام حيث شبه الشاعر الأمير بالشهاب المضيء في الليل المظلم تارة، وتارة يشبهه بالسراج وقيد كون ناره ماء العنب، وتارة يشبهه بالعروس فوق الكرسي بيديه، مستخدماً في كل مرة أسلوب الاستفهام الذى يعكس الحيرة، وعدم التمييز بين الأطراف، " أشهاب...." ؟ " أم سراج..." ؟ " أم عروس " ؟ إضافة إلى تكرار " أم " أكثر من مرة، وهذا يؤكد الحيرة والشك التي كان عليها الشاعر، فكل الأطراف أقوى من بعضها البعض، وتلك الحيرة وهذا الالتباس، لهو أكبر دليل على شدة إعجابه بممدوحه، واللافت هنا أنه انتقل من صورة إلى أخرى، وجعل ممدوحه مركزاً لهم، وقد تعددت الاستعارات، وكانت همزة الاستفهام هي مفتاح كل استعارة وهذا يعكس أهمية هذا الأسلوب الذى يؤثر في المعنى المقصود.

وقوله: (١)

**فقلـتُ لهـا : يـا أَمْلَـح العـينِ مشـيةً أمزنـــةُ جَـــوٍّ أنـــتِ أم ســـيل أبطـــح ؟**

يصف الشاعر تلك الفتاة بعدة أوصاف ولا يدرى على أيهم يستقر، وقد استعان في وصفه هذا بالتشبيه والاستفهام بالهمزة " أمزنة جو، أم سيل أبطح ؟ ".

حيث نراه يشبه تلك الفتاة التي ناداها بقوله " يا مليحة العين " للدلالة على بلوغها درجة عالية في الجمال ، فقد شبهها تارة بالمزنة، وتارة بالسيل وقيده بكونه أبطح ، تشبيهاً يعتمد على الاستفهام الذى يعكس الحيرة، وعدم القدرة على التمييز بين الطرفين، فقال يتساءل: أمزنة جو أنت ؟ أم سيل أبطح ؟، والانتقال من المشبه إلى المشبه به الثاني بواسطة " أم " والاستفهام يدل على الشك بين الأمرين فكلاهما أقوى من الأخر، وقد اتكأ الشاعر على تجسيم المعاني والتعبير عنها بصورة مادية حسية مستمدة من البيئة الطبيعية، ومن فوائد هذه المادة

(١) الديوان: صـ١٠٩.

الحسية أنها جعلت الشاعر يدقق في وصفه،ويفصل في أوصافه، فيصب المعنى الواحد في صور مختلفة، وقوالب جديدة، إمعاناً منه في الإيضاح، وزيادة في استقصاء جوانب الموصوف واستيفاء أجزائه.

وقوله: (١)

**أَتَرَى بَيَاضَ الشَّيبِ مَاءً غَاسِلاً  في العَارِضَينِ وللشَّبابِ سَوَاداً**

يصف الشاعر الحالة التي أصبح عليها بعد ما اكتسى شعره بالشيب واصفاً إياه بالماء الغاسل، وفى وصفه هذا للشيب تصوير للحالة النفسية الأليمة التي يمر بها، وليدلل على تخوفه مما سيحدث له، وتألمه من هذا التقدم في العمر، وآثاره السيئة المترتبة عليه، ويبدو شعوره بالصدمة لوصوله إلى هذا السن، وحنينه لسن الشباب الذى لم ينسه بعد، فالمتناقضات " الشيب والشباب " تعكس الدلالة الانفعالية التي يمر بها، فهو بين شباب مضى لم يشعر بطعمه ولا بلذته، وشيخوخته التي لا يعرف منتهاها في غربته المريرة ، وقد استخدم الشاعر اللون " الأسود " للدلالة على الشباب والنضارة، فهو عنده أبهى وأجمل من اللون " الأبيض " الدال على الشيخوخة " والضعف لذلك نجده يسعى لتغيير لون شعره الأبيض إلى لون أسود من خلال الخضاب الأسود حتى يبدو أكثر فتوة وجمالاً، وقد دخلت همزة الاستفهام على الفعل " أترى " للدلالة على التقرير والإنكار فالشاعر ينكر ما حدث له من شيب وما تبع ذلك من ضعف وانكسار، وقد أدخل الهمزة على الفعل لأنه محط الإنكار ومصبه" بياض الشيب ماء...." والمقصود بمعنى الهمزة هو ما يليها.

وقد اتضح أنه عندما يكون الفعل متقدماً بعد أداة الاستفهام فإنه لا يستقل بالإنكار أو التقرير ولكن لابد من أن يتصل بفاعله وما بعدهما من متعلقات لأن السؤال عن مضمون ما بعد الهمزة إنكاراً أو تقريراً أو غير ذلك.

وقوله: (١)

---

(١) الديوان: صـ١٤٤.

**ألـــيس الله ينفـــذ منـــه حكمـــاً فـــيعقلني بـــه، وأنـــا الطليـــق**

دخلت همزة الاستفهام على نفى" ليس " وهى تفيد معنى التقرير فالشاعر يقرر أن الله ﷻ هو من بيده تصريف الأمور وتسيير الأقدار، والمعنى الذى يتضمنه هذا الاستفهام هو تمنٍ وطمع من الشاعر أن ينفذ الله فيه حكمه ﷻ ، وأما مثبت البيت فيكون: " فيعقلني وأنا طليق "، فالاستفهام بالهمزة هنا كشف عن سأم الشاعر وملله من الحياة التي طال مكثه فيها، وهو بعيد عن أهله ووطنه، فليس أمامه سوى انتظار نفاذ أمر الله وتمنى وقوعه.

وقوله: (٢)

**ألـــيسَ بنـــو الزَّمـــان بَنُـــو أَبِيكَـــا فَجِّـــرِدْ عَـــنْ حَقَائِقـــكَ الشِـــكُوكَا**

همزة الاستفهام دخلت على فعل النفي " ليس " ومقصد الشاعر منها تقرير حقيقة وهى: رفعة شأن ممدوحه، وعلو قدره، كما تدل على الإنكار فشاعرنا ينكر أن يجزع ممدوحه من الزمان إذا أصابه بكروبه وشدائده وتملؤه الشكوك والظنون، وقد جاء التعليل الحسن لذلك الإنكار في صيغة استفهام يتضمن نفى الجزع بدليل إن بنو الزمان بنو أبيكا.

**(٢) الاستفهام بـ « هل ».**

قوله: (٣)

**قَـــذَفَتْ حَبَـــةَ قلـــبي في الهَـــوَى هَـــلْ رَأَيْـــتَ الجَمْـــرَ في المُفْتَـــادِ**

يخبرنا الشاعر عن تلك الفتاة التي أحبها، وأضرمت فى قلبه نارا ملتهبة، فأصبح قلبه كأنه ملقى في موقد للنار، والاستفهام في قوله " هل رأيت...؟ " أفاد الإنكار فهو ينكر عليها فعلتها به، وكيف استطاعت فعل ذلك ؟.

و قوله: (٤)

---

(١) الديوان: صـ٢٣٣.
(٢) الديوان: صـ٣٤٩.
(٣) الديوان: صـ١٣٩.
(٤) الديوان: صـ٢٢.

**إذَا قِيـل لـي : قـلْ هَوِيـت وَمَـا اِسْـمُه وَمَـا سـببُ الشَـكوَى ومـا علّـةُ الكـرب؟**
**ضَـرَبتُ لهـم قومـاً بقـومٍ فصـدّمَوا ولفـظُ لسـاني غـيرُ معنـاهُ مـن قلـبي**
**وَهَلْ يَطْمعُ الوَاشُونَ في سِرّ كَاتِمٍ يريـدُ السّـهى إمَّـا أشـارَ إلى الـتّرْب**

اشتملت الأبيات على ثلاثة أساليب من الاستفهام:
أولاً: الاستفهام بـ "من "، " من هويت ؟ ".
ثانياً: الاستفهام بـ " ما "، " ما اسمه، ما سبب الشكوى، ما علة الكرب ؟ ".
ثالثاً: الاستفهام بـ " هل "، " هل يطمع ؟ ".
وكل أساليب الاستفهام هذه، تلتقى في معنى واحد: الكشف عن الحيرة والحسرة التي يشعر بها الشاعر،
فالاستفهام الأول: " من هويت " دخلت أداة الاستفهام " من " التي للعاقل على الفعل "هويت" للدلالة على وقوع الفعل وحدوثه.
والاستفهام بـ " ما" والتي كررها الشاعر أكثر من مرة، لدليل قوى على مدى القلق والحيرة التي عليها الشاعر، وقد أكد هذا التكرار « فالتكرار وسيلة مشروعة في لغة الانفعال والتوتر »[(١)]
وقد دخلت " ما " على جملة اسمية: « ما اسمه، ما سبب الشكوى، ما علة الكرب ؟ و " ما " يطلب بها إما شرح الاسم وإما ماهية المسمى »[(٢)]
كما أن " ما " اسم استفهام ليس بمختص، يدخل على الجملة الاسمية والفعلية سواء، فإن دخل على الاسم كان هذا الاسم عاقلاً أو غير عاقل، فإن كان غير عاقل فهو لتحديد موضع الاستفهام وتخصيصه، وإن دخل على العاقل فهو

(١) قراءة في الأدب القديم د/محمد أبو موسى، صـ٢٩٥، وانظر خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د/محمد أبو موسى، الطبعة الثالثة، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، صـ١٣٨.
(٢) بتصرف من الإيضاح للقزويني صـ ١٣٧.

للاستفهام عن عموم ذلك الاسم، وأما إن دخل على فعل فهو للاستفهام عن الحدث ذاته. (١)

ثم يأتي الاستفهام بـ " هل " الداخلة على الفعل المضارع، وأفاد الاستفهام بها: النفي والإنكار، فالشاعر ينفى وينكر أن يطمع الواشون في سر كاتم...

قوله:

**هَـلْ تَطْلَعِـينَ عَلَـىَّ بـدراً عـن رِضـى فَـأَرَاكِ عَـنْ غَضَـبٍ طَلَعْـتِ هِلَـالاَ**

يصف الشاعر حال محبوبته معه فتارة تكون راضية عنه ، فتبدو كالبدر في جماله وبهائه، وتارة تكون غاضبة عليه، فتبدو كالهلال في إشراقه وجماله، لذا نراه يتساءل متعجباً من تلك الحالة التي تكون عليها وقت الرضا ووقت الغضب، وقد دخلت " هل " الاستفهامية الدالة على التعجب على الفعل المضارع " تطلعين " للدلالة على التجدد والاستمرار، فمحبوبته دائماً تبدو بأبهى منظر وأجمله، فهو قد شبهها تارة بالبدر وقت الرضا ، وتارة بالهلال وقت الغضب، وكلا الهيئتين رائعتين، فأي امرأة لا تتمنى أن تشبه بالبدر أو الهلال !!؟

قوله: (٢)

**دُنْيـا إِلَـى أُخْـرَى تَنْقِـل أَهْلَهَـا هَـلْ تُـترك الأرواَح في الأَجسَـاد**

يصف الشاعر حال الدنيا المليئة بالأحزان، فهي دنيا زائلة، فالزوال والفناء من الخصائص التي تختص بها، فلا بقاء للإنسان فيها، بل حاله إلى زوال حتمي وأكد الشاعر كلامه هذا بأكثر من مؤكد، حيث قدم الجار والمجرور على الفعل وفاعله إذ أن أصل التركيب « دنيا تنقل أهلها إلى أخرى » كما جاء بالاستفهام الدال على الاستبعاد « هل تترك الأرواح في الأجساد » فكما أن الروح تفارق الجسد ولا تبقى فيه، كذلك حال الدنيا تفنى ولا تبقى ولا تدوم على حال.

---

(١) تركيب الجملة الإنشائية في غريب الحديث د/عاطف فضل، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، صـ٤٣٦.

(٢) الديوان: صـ٤٣٦.

قوله: [١]

**أَنْـــتَ ذَاكَ الأَسَـــدُ الـــوَرد فَهَـــلْ كَـــان في رُمْحـــك ســـمُ الأسُـــود**

يمدح الشاعر المعتضد ويصفه بالقوة والشجاعة عن طريق التشبيه، فقد شبه ممدوحه بالأسد في قوله «أنت ذاك الأسد » في شجاعته وإقدامه في أرض المعركة وميدانها، فقد استطاع التغلب على خصمه القوى، الذى وصفه أيضاً بالأسد، للدلالة على أنه لا يتغلب على من هم في حالة ضعف، إنما هو قوى ويتغلب على الأقوياء، لأنه لا فخر ولا شجاعة لمن يتغلب على جيش ضعيف، ثم تساءل الشاعر متعجباً « هل كان في رمحك سُم الأسود ؟ » من قوة ممدوحه، ثم يجيب أفي رمحه سم أم لا، وكل هذا جاء في سياق التعجب من قوة ممدوحه وشجاعته.

و قوله: [٢]

**إِنَ الهَـــوَا لُجِـــيطٌ بـــالنفُوس فقُـــلْ هَـــلْ حَظَّهـــا مِنْـــه غَـــيرُ الفَـــوتِ بـــالنفَس**

يصف الشاعر الهوى وما يحدثه في نفوس العاشقين من سيطرة وتملك للقلوب، فلا تستطيع نفس أن تهرب منه بدون أن يمسها ويتغلغل إلى أعماقها، وقد أكد الشاعر كلامه هذا بعدة مؤكدات أولها الاستفهام بـ " هل " في قوله « هل حظها منه غير الفوت بالنفس » الدال على التقرير أي إثبات تلك الحقيقة، كما أكد كلامه عن طريق «إن واللام المزحلقة المتصلة بخبر إن، واللام المزحلقة لام مفتوحة، وتستخدم للتوكيد وتدخل في " خبر إن المكسورة دون سائر أخواتها زائدة مؤكدة » [٣]

---

(١) الديوان: صـ١٤٢.
(٢) الديوان: صـ٢٨٦.
(٣) اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان ابن جنى، ت ٣٩٢هـ، ت/فائز فارس، الكويت، دار الكتب الثقافية، صـ٤٢.

وكل هذه المؤكدات مع الاستفهام الدال على التقرير أكدا المعنى في نفس سامعه.

**(٣) الاستفهام بـ « كيف »:**

مثل قوله: (١)

**وَكَيْفَ أُرَجِّي وَفَاءَ الخِضَابِ إِذَا لَمْ أَجِدْ لِشَبَابِي وَفَاءَ**

يتساءل الشاعر عن الخضاب وفعله برأسه، هل سيبقى فترة يخضب شعره ، أم يذهب سريعاً ؟ ولكنه يرد متهكماً وساخراً من هذا الخضاب الذى لا يحقق أمله ومطلبه ولا يفي بوعده، حيث يذهب سريعاً بمجرد ظهور ونمو الشعر الأبيض، فيغدر بصاحبه ولم لا ؟ فليس هذا بمستغرب، فالشباب نفسه لم يف لصاحبه، فهل سيفي الخضاب ببقائه ، لذا نجد الاستفهام بـ " كيف " قدد أفاد التهكم والسخرية.

و قوله: (٢)

**كَيْفَ يُفْنِي الشُّموس مَا اقْتَبَسَتْهُ مِن سَنَا نُوْرِهَا عُيُون الأَنَامِ**

يمدح الشاعر الأمير على بن يحيى ويهنئه بالشفاء من مرضه ويصفه بالشمس وقيد وصفه بكون تلك الشمس لا يفنى نورها، والاستفهام في قوله " كيف " أفاد معنى النفي أي: ما يفنى الشموس، وذلك للدلالة على عظم الممدوح، وعلو قدره فقد نفى الشاعر حدوث الفعل المستفهم عنه، وهو " الفناء " فجاء هذا النفي معبراً عن بلوغ الممدوح درجة من العلو، وارتفاع القدر لا يصل إليها أحد سواه.

و قوله: (٣)

**خلعتُ عَلَى بُنيّاتِ الكِرومِ مَحَاسِنَ مَا خُلِعْنَ عَلَى الرسُومِ**
**أخذتُ بِمَذْهَبِ الحكمي فيها وَكَيْفَ أَمِيلُ عَنْ غَرَضِ الحكيم**

(١) الديوان: صـ٣.
(٢) الديوان: صـ٤٦٩.
(٣) الديوان: صـ٤٣٥.

يتحدث الشاعر عن تقليده لأبى نواس الذى وصفه بالحكمي، فابن حمديس شاعر بارع في التقليد والإبداع معاً، فهو يعترف بأنه يسير على درب أبى نواس وأحسن تقليده، فقد خلع على بنيات الكروم من الحسن والجمال ما خلعن على الرسوم البالية، ثم يتساءل بـ "كيف أميل...؟ " وقد أفاد الاستفهام هنا التعجب والاستبعاد. وقال يصف عقرباً: (١)

**عَـــدُومِـــنْ الإنْسَـــانِ يَعْمُـــرُ بَيْتَـــه فَكَيْـــفَ يُـــوَالِي رَقْـــدةً يَسْـــتَتْطِيبُهَا**

يصف الشاعر عقرباً بأنه عدو للإنسان، كما أنه يتخذ من بيته مسكناً له، ثم نراه يأتي بالاستفهام " كيف يوالى..؟ " وقد أفاد الاستفهام بـ " كيف " الداخلة على الفعل المضارع " يوالى " معنى التعجب، أي كيف يؤذى الإنسان الموجود ببيته ومع ذلك يطيب له الرقاد ؟، ودخول الاستفهام على الجملة الفعلية دليل على التجدد والاستمرار، أي إن التعجب دائم ومستمر ما دام السؤال قائم.

وقوله: (٢)

**يُخْشَـــى حُسَـــامَكَ مَغْمُـــوداً فَكَيْـــفَ إذا مَـــا سُـــل للضَـــربِ وأَنهـــدت بـــه القَصِـــر**

بدأ الشاعر بيته بفعل مضارع مبنى للمجهول " يُخشى " وذلك للدلالة على كثرة الأعداء الذين يخشون من سيفه الذى يمثل القوة والشجاعة، ومع أن هذا الخوف الذى يصيبهم منه ، ومن سيفه وهو مغمود، فما بالنا إذ سل سيفه في وجه أعدائه فماذا سيكون حالهم ووضعهم ؟، وقد اتكأ الشاعر على عدة أمور في تأكيد معناه هذا منها:

أولاً: الاستفهام بـ " كيف " الدال على التعجب ، وإظهار قوة الممدوح ، وشجاعته في كيد أعدائه.

ثانياً: المفارقة والمقارنة الرائعة التي أقامها الشاعر بين حالتين يكون عليها أعدائه.

الحالة الأولى: الخوف الشديد منه ومن سيفه في أثناء إغماد سيفه.

---

(١) الديوان: صـ٤٤.

(٢) الديوان: صـ٢٤.

الحالة الثانية: الخوف المروع الذى ليس بعده حد من سيفه إذا سله في وجوههم فهم هالكون لا محالة، وقد ساعدت كل هذه الأمور مجتمعة على إبراز المعنى وتأكيده في نفس السامع.

**(٤) الاستفهام بـ « أين »:**

مثل قوله: [١]

**أَيْنَ الّذى حَدَّ المُنَجِّم كَوْنَه ... إذا مَرَّ للصَّوام عَشْرٍ مِنْ الشهر**

تنبأ المنجمون بوفاة الأمير على بن يحيى، وحدودا ذلك بعد عشرة أيام من رمضان، فمرت هذه الأيام دون أن يصيبه مكروه، فأخذ بن حمديس يتساءل متهكماً وساخراً من حالهم ووضعهم مع الأمير، لذا نجد الاستفهام بـ " أين " أفاد السخرية والتهكم.

**(٥) الاستفهام بـ « متى »:**

مثل قوله: [٢]

**وذي رَوْنَقٍ تَرْتَاعُ مَنْه كَأَنْما ... عَروس المَنَايَا فيه للعَيْنِ تَجْتَلى**

**جَرَى والْتَظَى سلاًّ فَقُلْتُ تَعَجُباً ... مَتَى فَجْرتُ كَفٍ مِنْ النار جَدْوَلاً[٣]**

يمثل البحر بالنسبة للشاعر تجربة مريرة ومثال للموت والألم، فقد أخذ منه أحبته ، وكم أزهق من أرواح تحت أمواجه العاتية التي تشبه السيوف القاطعة، لذا نجد الشاعر قد استخدم الاستفهام بـ " متى " الذى أفاد التعجب من أمر هذا البحر.

**فنداه البحر، والبحر متى ... تعصف الريح عليه يزيد**

**(٦) الاستفهام بـ « من »:**

مثل قوله: [٤]

---

(١) الديوان: صـ٢٤٤.
(٢) الديوان: صـ٣٨٣.
(٣) جداولاً: السيف الذى يجرى دماء من كثرة القتل، الديوان صـ٣٨٣.
(٤) الديوان: صـ٢١٨.

**مَـنْ كَـان عَنْـه يُـدَافِع القَـدَر لَـمْ يَـرُده جِـنْ وَلا بَشَـرُ**

بدأ الشاعر بيته بـ " من " الاستفهامية الدالة على الاستبعاد، وقد دخلت على الفعل "كان" لتؤكد هذا الاستبعاد، أي: من يستطيع أن يرد ويدفع القدر، ثم أكد كلامه هذا بالجملة المنفية بعده بأداتي نفى " لم، ولا " في قوله « لم يرده جن ولا بشر » ، وذلك لنفى الحال والاستقبال، فإن هذا الأمر لم ولن يحدث من أي كائن كان ، سواء كان إنس أو جان، فهما سواء في هذا الأمر، وفائدة النفي هنا « هو الإشعار بعدم العمل بمقتضى ما بعدها....» (١) .

وهو إيمان من الشاعر بقدر الله وقضائه، وأن لابد أن يرضى بما قدره الله له، وهو في المعنى هذا يقتبسه من قوله تعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾(٢)

فالشاعر لم يستخدم الألفاظ نفسها، وإنما استخدم المعنى.

و قوله: (٣)

**مَـنْ أَسْـتَعِين بِـه عَلَـى فَـرْط الأَسَـى فَأنَـا الَـذى بِجِنَـايَتِي عُودِيـت**

يتساءل الشاعر عن من يعينه على ما هو عليه من الحزن والألم ، وما أصابه من الشيب الذى حل به ، وجعل محبوبته تنفر منه فهو يشعر بالألم والشقاء، لأنه يهجر من المحبوبة ، بسبب الشيب الذى لا يستطيع التحكم به، وبينما كان يستعين بها لنسيان أساه ومصائبه، فقد أصبحت مصدر أسى له، لذا تساءل بـ " من " الدالة على التعجب من أمر تلك المحبوبة.

(١) نظرات في أسلوب القصر والإنشاء د/محمد شادي، صـ٤٨.
(٢) التوبة: من الآية (٥١).
(٣) الديوان: صـ٢٣٠.

**ثانياً: الاستفهام في الرثاء:**

**(١) الاستفهام بالهمزة:**

مثل قوله: [١]

**أَلَمْ أَفْقِد الشَمس التي كَان ضَوْءهَا بِحُلِى عَنْ الاجْفَان كُل ظَلاَم**

يرثى الشاعر جاريته التي غرقت في البحر، فقد كانت كالشمس التي تنير له حياته، ولكن كل هذا تبدد وتغير بفقدها مما سلمة للحزن والحسرة عليها، لذا لجأ الشاعر للتعبير عما بداخله من ألم وحسرة عن طريق الاستفهام بـ " ألم " وقد دخلت همزة الاستفهام على النفي " لم " وقد أفاد الاستفهام الحسرة وكذلك التقرير، فهو يريد أن يقرر بحقيقة مسلم بها: أن تلك الفتاة التي فقدها كانت بمثابة الشمس التي تضئ طريقه في ظلمات الليل.

و قوله: [٢]

**أَتَرى الغَيث بَاب يَبْكِى أَخَاه فَبُكَاء العُلى عَلَيْه طَوِيل**

يرثى الشاعر القائد أحمد بن إبراهيم ويبين مدى حزنه ، وحزن ما حوله من كائنات عاقلة وغير عاقلة ،على فقده فمن شدة الحزن عليه أصبحت معالم الطبيعة تبكيه، فنزول المطر من السماء أصبح بمثابة بكاء الطبيعة حزناً على موته، وقد علل الشاعر لبكاء الطبيعة وحزن كل من حوله بقوله :« الغيث يبكى أخاه » فالفقيد هو الغيث سواء في الجود والكرم، فلذلك وجب أن تحزن الدنيا بأسرها لأجله، وقد استعان بالتشبيه في إيضاح هذا المعنى وإبرازه حيث شبه الغيث بالإنسان الذى يبكى أخاه حزناً لفقده، وقد وصف الغيث بأنه أخوه ليضيف صورة جديدة إلى الحزن وهى: صورة الرجل المعطاء الذى يعتبر الغيث أخاه في الكرم والجود ، وقد حذف المشبه وأبقى على صفة من صفاته وهى البكاء، إلى جانب الاستفهام بالهمزة الداخلة على الفعل " ترى " وقد أفاد هذا الاستفهام بجانب الحزن والحسرة، التقرير أي إثبات حقيقة حزن الجميع على فقد هذالممدوح

(١) الديوان: صـ٤٣٤.
(٢)الديوان: صـ٣٩٩.

و قوله: (١)

**أَلَـمْ أَرْكَـبِ الـنَفْس اشْـتِيَاقاً إلَـيْكُم غَـوَارَبَ مَحْضَـرِ الغَـوَارِبِ طَـام**

يتذكر الشاعر تلك الحادثة التي وقعت له ولجاريته حينما هم بالعودة لموطنه، ولكن شاءت الأقدار وغرقت جاريته وفارقت الحياة، بينما نجا الشاعر من الغرق بعد تصارع مع الأمواج، فانثنى عن فكرة العودة، وقد دخلت همزة الاستفهام على النفي "لم" والاستفهام بهذا التركيب يفيد إنكار الشاعر ما حدث لتلك المحبوبة فقد كانت بمثابة الحياة له ، ولكن حالت الأقدار دون تحقيق ذلك، فلم تحطم آماله بالعودة إلى موطنه فحسب، بل أخذت منه قطعة من حياته، أورثته حزناً عميقاً على جاريته التي فقدها، وفي تكرار الشاعر لقوله (غوارب ، الغوارب ) دلالة على التأكيد في أنه حاول بشتى الطرق العودة ولكن القدر حال دون وقوع ذلك .

و قوله: (٢)

**أَوَلَـمْ يَكُـنْ بُقْـراط دُون أَبِيـكَ فِي دَاءٍ يُعَادلَـهُ المَـرِيضُ عِـداد**

يرثى الشاعر ابن أخته، وقد استحضر الشخصية التراثية التاريخية في الطب " بقراط " وذلك لأن والد المتوفى أبا الحسن كان متطببا، مثقفاً، فتوجه إليه قائلاً: «أولم يكن بقراط» والهمزة الداخلة على النفي أفادت الإنكار: أي إنكار أن يكون بقراط أعرف من أبيه في الطب، أو التقرير بأن والده كان أكثر معرفة من بقراط، وأياً كان معناها، فإن الاستفهام بها كشف عن صفات والد المتوفى في معرفته الواسعة في الطب، ويزعم بأنها مشهورة معروفة، ومن أجل هذا يقرر بها أو ينكر بعدم المعرفة بها، وهو بهذا يعد بقراط أقل مرتبة منه في الطب.

و قوله: (٣)

**أَوَلَـيسَ إبْـرَاهِيم نَجـلُ مُحَمَّـدٍ بالـدَّفنِ صَـارَ إلى بِلِـى ونَفَـادِ**

**رَدَّ النَّبِـيُّ عليـه تربـةَ لَحَـدِهِ بيـد النُّبـوَّة وهِـى ذَات أيـادي**

---

(١) الديوان: صـ٣٣٤.
(٢) الديوان: صـ١٢٣.
(٣) الديوان: صـ١٢٤.

**فَتَـــأَسَ فِي ابنِـــكَ بابنِـــهِ وَخِلالِـــهِ تَسْـــلُكَ بِأَسَـــوتِهِ سَـــبِيلَ رَشَـــادِ**

توفى ابن أخت الشاعر وهو في غربته، فأخذ يتذكر تلك الأيام الموحشة التي يعيشها بعيداً عن أهله ومحبيه، ويرثى نفسه في فقد ابن أخته، وأخذ يعزى والده ويواسيه في مصابه الأليم ، ويشد بأزره ، ويدعوه للتصبر على بعد الفقيد، تأسياً برسول الله ﷺ ، وصبره على فقد ولده إبراهيم، وقد دفنه النبي بيديه الشريفتين، وأصبح إلى فناء ، وقد أفاد الاستفهام في قوله "أوليس " التقرير، فالشاعر يقرر تلك الحقيقة ، وهى " موت إبراهيم ابن النبي " ثم جاء بصيغة الأمر " فتأس " للدلالة على الحث على التصبر ، والتأسي برسول الله على وفاة ولده حتى يستطيع الخروج من تلك المحنة العصيبة ، ويصل إلى سبيل الرشاد.

إضافة إلي ذلك تللك الكناية الرائعة في قوله : ( بيد النبوة وهي ذات أيادي) فهي كناية عن الحنو والرحمة والعطاء ، كما اعتمد الشاعر على التكرار في إيضاح معناه وتأكيده ، من خلال تكراره لقوله :( ابنك . ابنه)لتثبيت المعنى في نفس السامع .

وقوله: (١)

يَا بَاقةً فِي يَمِيني بالرَّدَى بُذلَت أَذَاب قَلْبِي عَلَيْكِ الحُزْن والأَسَفُ

**أَلَـمْ تكـوني لِتَـاجِ الحُسْـنِ جَـوْهَرة لَمْـا غَرِقْـتِ فَهَـلاَّ صَـانَكِ الصَـدَف**

حزن الشاعر على محبوبته جوهرة التي غرقت في البحر ، فأخذ يرثيها بحرقة ولوعة ، من خلال تللك اللوحة التعبيرية التي رسمها الشاعر ، حيث شبه تلك الجارية بمجموعة من الورود تارة وبالجوهرة المصونة تارة أخرى وفي هذا دلالة واضحة على شدة جمالها ، ثم حذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية ،إضافة إلي ذلك نجد في قوله : (يا باقة) دلالة على حزنه لفقدها حيث ناداها بـ (يا) دون غيرها من أدوات النداء وذلك للدلالة على بعد منزلتها وعلو شأنها عند الشاعر ، كما أن النداء هنا خرج من معناه الحقيقي إلى معني التحسر على فقد هذه الغالية البعيدة في المنزلة ،القريبة إلى القلب ، ولم يكتف الشاعر بذلك ،

(١) الديوان: صـ٣١٥.

بل نراه يتساءل عم حدث في قوله : ( ألم تكوني لتاج الحسن جوهرة ) فقد دخلت همزة الاستفهام على النفي " ألم تكوني " فأفاد ذلك تقرير الشيء أو إنكاره، ولكن شاعرنا قصد أن يقرر حقيقة ثابتة حيث نسب الجمال لمحبوبته وقت غرقها في ذاك البحر، وكأن الشاعر عندما لجأ إلى الاستفهام كان غرضه أن يخفف من حدة الحزن والألم لفراقه لأحبائه، ولم يكتف بذلك بل تمنى بعد غرقها ألا تهان، لذا نجده يطلب من الصدف حاضاً إياه بقوله " هلا " أن يصون تلك المحبوبة ويحفظها ويكون لها الحارس الأمين في ظلمات البحر البهيم، وفى استخدامه لأداة التحضيض " هلا " دلالة على حرصه ألا تهان، وذلك لأنه لا جدوى من رجوعها للحياة مرة أخرى .

وقد فصل الشاعر قوله : ألم تكوني لتاج الحسن....)عن البيت السابق ،لما بينهما من التوسط بين الكماليين .

**(٢) الاستفهام بـ« هل »:**

مثل قوله: [١]

**هَـلْ خَانِـكِ المَحْـزُونِ مِـنْ دَمْعَـة بَكَـى بِهـا عَنْـكِ فَمَـن خَـانَ هَـانْ**

بدأ الشاعر بيته بأداة الاستفهام " هل " وقد أفادت معنى الإنكار، فالعين إذا جف دمعها، ولم تبك على الفقيد العزيز، فهي خائنة في نظره، بدليل أنه هانت عليه الصحبة والرفقة، وقد اقتبس ابن حمديس من التراث بعض الأقوال ليدلل بها على صحة كلامه هذا منها ما ورد عن العرب في الخيانة « من خان مان، ومن مان هان، وتبرأ من الإحسان »[٢] وقد وظفه ابن حمديس ليخدم به معناه ويدخله في نصه.

**(٣) الاستفهام بـ « أي »:**

مثل قوله: [٣]

---

(١) الديوان: صـ٥٠٦.
(٢) نهاية الأدب: النويري، ح ٣، صـ٣٦٩.
(٣) الديوان: صـ٣٦٧.

سَــلا أىَّ سُــلْوَانِى أَرَى مَصْــرَعَ اَبْنَــه وَطَــال لِفَقْــدِ المَــالِ طُــولُ نِياحــهُ
كَــذَاكَ حَمَــام البُــرْجِ يُــذْبَحُ فَرْخُــه فَيَسْــلُو وَيَأْسَــى عِنْــدَ قَــصِّ جَنَاحِــهُ

يرثى الشاعر ابنة له وهو يملؤه الأسى والحزن على فراقها ، ويتمنى أن يكون بدلاً منها، فهو لن يستطيع نسيانها فمن أين له النسيان ؟ وقد استخدم الشاعر أداة الاستفهام " أنى " وهى بمعنى " من أين لي السلوى ؟ " وقد أفاد الاستفهام بها معنى الاستبعاد والإنكار، فكيف له أن ينسى تلك الفقيدة الغالية، ثم استعان بالتشبيه لتأكيد المعنى المراد، حيث شبه حالته تلك بحال حمام البرج الذى يذبح فرخه ويسلو ولكن سرعان ما يتذكر تلك المأساة عندما يقص جناحه.

و قوله: (١)

أيّ الثّلاثَــةِ أَبكــى فقــدَهُ بــدمٍ عمــيمَ خُلقِــكِ أَمْ معنــاكِ أم صِــغَرَكْ

يرثى الشاعر جاريته التي فقدها في البحر وغرقت فغرق معها كل أحلامه وأمنياته وكل أيام السعادة والفرح، لذا نراه قد احتشد في بيته هذا كل ما يدل على حزنه وأساه لفقد تلك المحبوبة، فأخذ يندب نصيبه من الوحدة والوحشة التي أصابته بعد فراقها، فحزنه عليها عميق، فهي تذكره بأيام الصبا والفتوة وريعان الشباب ، ولا يستطيع أحد أن يعوضه عنها، لأنها كانت مصدر فرح له، وبعدها أصبح ليله يطول بالأحزان المتتالية، بعد أن كانت تملأ حياته ولياليه فرحاً وسروراً، وقد أفاد الاستفهام بـ " أي " هنا الحيرة والحسرة على فراق تلك الغالية.

إضافة إلى ذلك نجد قوله : (أَيّ الثلاثة أَبْكِي فقْدهُ بدمٍ ) فيه من الغموض والخفاء ما فيه ، مما أثار في النفس من شوق لمعرفة ما الذي سيأتي بعد ذلك، فلما قال :( عميم خلقك أم معناك أم صغرك) تعرف السامع على مراده وهدأت نفسه ، وقد كرر الشاعر (أم) المعادل أكثر من مرة وذلك ليضع السامع في الشك والحيرة التي وقع هو فيها ، كما أن فيه دلالة على شدة جمال تلك المحبوبة، لذلك جاء البكاء عليها بشيء غير معهود وهو البكاء بالدم لا بالدمع،

(١) الديوان: صـ ٢١٣.

كما أن في قوله : ( عميم خلقك أم معناك أم صغرك) كناية عن جمال المحبوبة خِلقة وخُلقا .

**(٤) الاستفهام بـ « متى »:**

مثل قوله: (١)

**لاَ يَصِحُّ البَقَاءُ في دَارِ دُنْيَا وَمَتَّى صَحَّ في النُّهَى المُسْتَحِيلُ؟**

يرثى الشاعر القائد أحمد ابن إبراهيم قائلاً: بأنه لا يصح البقاء في الدنيا لأحد، فهي دار فناء لا دار بقاء، ثم ذكر الأساس الذى بنيت عليه الدار الدنيا، وهو الحياة ثم الموت، فالخلود صفة مستحيلة في الحياة الدنيا، لذا نجد الاستفهام في قوله " متى " التي يستفهم بها عن الزمان خرج من معناه الحقيقي إلى معنى النفي حيث ينفى الشاعر البقاء في هذه الحياة الدنيا، فمصير الخلائق كلها إلى زوال.

و قوله: (٢)

**مَتَى تَعْبَسُ الهَيْجَا لَهُ في لِقَائِهِ أَرَتْ مِنْهُ في الإِقْحَامِ سِنَّ تَبَسُّمِ**

يرثى الشاعر القائد أبا الحسن على بن حمدون الصنهاجى، وهو رئيس بنى عباد، ويرثى السادة النجباء قائلاً: بأنه قائد مغوار فمن المعروف أن الناس تكره الحرب وتحزن لأجلها، لكن هذا القائد المغوار ، ومن معه على النقيض من الناس يبتسمون للحرب، رغم ما يرونه فيها من أهوال وعبوس في وجوههم، فيقتحمونها باسمين متفائلين بالنصر على أعدائهم.

وقد أكد الشاعر كلامه هذا عن طريق استخدامه للاستفهام بـ " متى " والذى أفاد التعظيم، إلى جانب الاستعارة التي اتكأ عليها الشاعر ليوضح مراده، حيث نراه يشبه الحرب في هذه الحالة ومن هؤلاء القوم بالإنسان الغاضب العابس في وجه الأعداء الذين يرى فيهم صورة غير الصورة المعهودة التي يجب أن يكونوا عليها، وهو بذلك ينقل للمتلقي الأثر الناتج من تجربته لمثل هذه الصورة، لأن

(١) الديوان: صـ ٣٩٨.
(٢) الديوان: صـ ٤٨٣.

الشاعر لا يهتم بالملامح المادية للصورة بقدر اهتمامه بنقل مشاعره وأحاسيسه التي يجدها في الصورة ، وقد حذف المشبه به ورمز إليه بلازم من لوازمه وهو قوله : (عابس) على سبيل الاستعارة المكنية والقرينة تخيلية.

وانظر إلى هذا الإبداع الفائق ، فكما جاء بكلمة (تعبس) في الشطر الأول بما تشير إليه ، أتى بعدها (تبسم) بما لها من تأثير في المعنى الذي قصد إليه الشاعر وهو أنه شجاع يقدم على قتل الأعداء بلا هوادة ، ولو خلا النظم من هذا الطباق ما أطلعنا على هذا الجانب المشرق لدى الشاعر.

**(٥) الاستفهام بـ « ما »:**

مثل قوله: [١]

**مَضَى بِالرَّجَاحَةِ مِنْ حلمِهِ فَمَا سَيَّرَ الهَضْبَةَ الرَّاسِيَة؟**

يرثى الشاعر والده الذى كانت له مكانة رفيعة بين قومه، فقد كان يتسم بعدة صفات منها رجاحة العقل، ومن فرط تعقله كان يستطيع أن يحرك ويسير الهضبة الراسية من مكانها، وليس هذا راجع إلى قوة جسمانية بل إلى رجاحة عقله وسعة فكره، وقد استخدم الشاعر أسلوب الاستفهام بـ " ما " الذى أفاد التعظيم والمدح لوالده الفقيد.

**(٦) الاستفهام بـ « كيف »:**

مثل قوله: [٢]

**وما خلتُ قلبي ، وتبريحي يُقلبُهُ الإ جناح قطاةً في اعتقال شَرَك**

**لاَ صَبْر عَنْكِ وَكَيْفَ الصَبرُ عنْكِ وَقَدْ طَوَاكِ عَنْ عيني المَوْج الذى نَشَرِك**

تركت حادثة غرق جاريته أثراً عميقاً في نفس ابن حمديس ، جعلته يربط بين البحر والحزن ، فهو لم يزل يتذكرها ، ويحزن لموتها ، فأخذ يرثيها بحرقة ولوعة من خلال التشبيه التمثيلي ، حيث شبه قلبه الذي انتابه الحزن والأسى ، وجعله يتقلب على النار ويرتعش من فرط الاضطراب بارتعاش جناحي فرخ القطا ،

(١) الديوان: صـ ٥٢٣.
(٢) الديوان: صـ ٢١٢.

وقد علق أو وقع في الشرك وأوشك على الهلاك ، ثم نراه يتساءل متعجباً بـ "كيف" ينسى تلك الغالية التي طواها الموج عن عينه ؟ ، لذا خرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى التعجب ، فهو مذهول من قسوة ذلك البحر كيف لم تسحره هذه العيون النواعس ؟؟

**ثالثاً: الاستفهام في الغزل والديار:**

يقول ابن حمديس: (١)

**مَا لِي أُطِيلُ عَنِ الدِّيارِ تَغَرُّباً ... أَفَبِالتَّغَرابِ كَانَ طَالِعُ مَوْلِدِي**

لم تكن حياة ابن حمديس مستقرة، فقد هاجر من وطنه طالباً السمو والرفعة في أرض الأندلس، وطالت غربته، فكانت ذكرى الوطن بما فيه تجول في خاطره فيحترق قلبه شوقاً له، لذا كانت حياته مأساة تثير الشفقة والحزن في النفس، حتى ضاقت به الدنيا، فخاطب نفسه مؤنباً لطول هذه الغربة، متسائلا في نفسه إذا ما كانت هي طالع مولده حقاً، لذا نجد الاستفهام في " ما لي...، أفبالتغراب...." أفاد معنى التحسر والألم فهو مهتم بإظهار معاناته في الغربة برغم ما تتصف به هذه البلاد من جمال.

و قوله: (٢)

**بِاللهِ يَا سَمَرَاتِ الحَي هَلْ هَجَعَتْ فِي ... ظِلِّ أَغْصَانِكِ الغِرِّلاَنَ عَنْ سَهَرِي**

**وَهَلْ يُرَاجِعُ وَكْراً فِيكِ مُغْتَرِبٌ ... عَزَّتْ جَنَاحَيهِ أَشْرَاكٌ مِنَ القَدَرِ**

تضمنت الأبيات أكثر من استفهام فنراه يقول: « هل هجعت...»، ويقول : « وهل يراجع....» وذلك للدلالة على الاستبعاد، فشاعرنا لا زالت صورة وطنه الحبيب ماثلة في ذهنه، مسيطرة عليه، لا تفارق صورته خياله، بل كانت صورته بمثابة الإلهام له في التعبير عن مشاعره ، وأحاسيسه تجاه الوطن السليب، عساه أن يعود ويحلو اللقاء بالأحباب، ولو كان ذلك وقتاً قصيراً ، ولكن هيهات هيهات، لذا نراه يكرر " هل " الدالة على الاستبعاد لتأكيد الفكرة المسيطرة على قلبه وعقله، ألا وهى: استبعاد رجوعه مرة أخرى لوطنه، كما نراه يشبه السمرات

(١) الديوان: صـ ١٦٨.
(٢) الديوان: صـ ٢٠٦.

بإنسان وأخذ يوجه لها العديد من الأسئلة المتتابعة ، عساه يجد إجابة أو حلاً لما هو فيه ، وقد حذف المشبه ورمز إليه بلازم من لوازمه وهو السؤال على سبيل الاستعارة المكنية .

و قوله: (١)

**فَمَتَى نَلْتَقِي فَتُصْبِحَ مِنَّا كُلُّ نَفْسٍ لِكُلِّ نَفْسٍ طَيِبَةِ**

بدأ الشاعر بيته بالاستفهام بـ "متى " الداخلة على الفعل المضارع " نلتقى " وقد أفاد الاستفهام التمني فالشاعر يتمنى أن يلتقى بمحبوبته وتصبح كل نفس لنفس طيبة، وبدخول " متى " على المضارع أفاد التجدد الاستمراري فالتمني دائم ومستمر ما دامت نفس الشاعر ملتاعة ومشتاقة لمحبوبته، وقد بنى الشاعر الشطر الثاني من البيت على التكرار ، وذلك لتأكيد تلك الأمنية المسيطرة على عقله وقلبه ، عساها تتحقق ويرنو كل أليف لأليفه .

و قوله: (٢)

**مَتَى تَسْمَعَ الجَوْزَاءُ في الجوِ مَنْطِقِي تَصِحُ في مقَالِي لا رْتِجَالِ الغَرَائِبِ**

بدأ الشاعر بيته بالاستفهام " متى " الدال على التمني والتعجيز، فهو يتمنى أن تسمع الجوزاء في الجو منطقه، ولكن هذا أمر مستبعد غير متحقق لبعده واستحالته ، ولكن تمناه الشاعر لكونه محباً لنفسه ، ولإبراز كمال العناية به، وقد دخلت " متى " على المضارع " تسمع " فدل ذلك على الدوام والاستمرار فالأمنية مستمرة ما دام هو على قيد الحياة، وقد اتكأ الشاعر في إيصال فكرته من خلال تشبيهه للجوزاء بكائن حي يستمع إليه ويشاركه في أحزانه وآلامه ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازم من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية والقرينة تخيلية .

و قوله: (٣)

---

(١) الديوان: صـ ٢٦.
(٢) الديوان: صـ ٣٠.
(٣) الديوان: صـ ٤٣.

**مَتَى كُنْتُ مُخْتَاراً عَلَى الوصْلِ فُرقَةً تُطِيلُ إلى وِردِ اللِّقَاءِ هُيَامِ**

بدأ الشاعر بيته بـ " متى " الاستفهامية وقد أفاد الاستفهام هنا معنى " النفي " أي:« ما كنت مختاراً على الوصل....» فالشاعر ينفى عن نفسه اختياره للغربة بدلاً من البقاء بجوار أهله ومحبيه، ينعم بوصالهم وبعطفهم، فكم من مرة حاول الرجوع لوطنه ولكن محاولاته جميعا باءت بالفشل، وحالت الأقدار دون تحقيق هدفه وغايته، ثم نراه يقدم مبررات لبقائه في غربته رغم مرارتها بقوله « فرقة تطيل إلى ورد اللقاء هيامِ » وفى هذا دلالة واضحة على مدى حزنه الشديد وحنينه لوطنه، فكلما زاد به العمر أخذ يبكيه كلما ذكره، ولا يخفي ما في قوله : ( الوصل ، فرقة) من طباق ساعد على تأكيد المعنى واستحضار تلك الصورة أمام أعين السامع فيتأكد المعنى ويتقرر .

و قوله: (١)

**فَهَل رَحَلتُ إلا طَالِباً بِالنَّوى عُلاً كَأنِي مِنْهَا لِلنجُومِ مُسَامِ**

يقدم الشاعر أسباب بقائه في هذه البلاد الغريبة بعد أن قرر عدم العودة لوطنه بقوله :« وهل رحلت إلا طالباً بالنوى عُلاً » فسبب غربته طلب المنى والعلا والرفعة لذا جاء به على طريق القصر الذى أكد من خلاله أن رحيله كان لأجل العلا وليس من أجل ترك الوطن، وبرغم هذه الأهداف التي يريد الوصول إليها وتحقيقها فإنه يرفض تلك الحياة التي يشعر فيها بالغربة والوحدة وقد أفاد الاستفهام بـ " هل " التقرير والنفي.

و قوله: (٢)

**وَكَيْفَ وَقَدْ سَئِمتُ هَوَاناً وَصَيرت مَسَاجِدُها أَيْدِي النَصَارى كَنَائِساً**

يتذكر الشاعر بلده صقلية ويصف حالها وما أحدثه فيها النصارى من خراب ودمار، وتحويلهم المساجد إلى كنائس، ليذيقوا المسلمين كأساً من العذاب والآلام

(١) الديوان: صـ ٤٣٢.
(٢) الديوان: صـ ٢٧٤.

فعبر عن هذا بالاستفهام بـ " كيف " التي دلت على التعجب والحسرة لما أصاب بلده وقومه، فبالرغم من بعده عنهم ، إلا أنه حزين لما حدث لهم وفى هذا دليل على مكانة وطنه الحبيب من قلبه وشعوره بواجبه تجاهه.

و قوله: (١)

**ثُـــمَ غَطْـــتَ بِنقَـــابِ خَـــدْهَا مَـــنْ رَأَى الشَـــمسِ تَـــوارَت بِالحِجَـــاب**

يصف الشاعر محبوبته التي حجبت عنه وجهها حينما رأته، فشبهها بالشمس التي توارت عنه بحجاب، وفى قوله هذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴾(٢)، أي حتى توارت الشمس بالحجاب، وفي هذا دلالة على سعة ثقافة الشاعر وتدينه ، وقد أفاد الاستفهام بـ " من " الاستبعاد والإنكار.

و قوله: (٣)

**مِـنْ أَيْـنَ لِـي فِي الهَـوَى نَـوْمٌ فَيَطْرقُنِـي خَيَـالُ مَـنْ نَوْمَهَـا يُغْـرِى بِـي الأَرَقَـا**

**وإنَّمَـــا الفِكْـــرُ الأَجْفَـــانِ مَثَّلَهَـــا فَمَـــا كَـــذَبْتُ عَلَـــى جِفنِـــي وَلاَ صَـــدَقَا**

في هذين البيتين حسرة مثقلة باليأس من النوم، فهوى المحبوبة مسيطر على فكره وعقله، فأصبح النوم يجافى أجفانه، وقد أكد هذا الكلام بعطف قوله: " فيطرقنى " بالفاء على ما قبله، فهذه الحالة المسيطرة عليه متتابعة لا يستطيع النوم حتى لو أخذته سنة من النوم طاف به خيالها يغرى به الأرقا، فالاستفهام بـ " أين " هنا كناية عن اليأس من النوم لانشغال فكره بالمحبوبة، ولم يكتف الشاعر بذلك فحسب، بل ذكر أن صورتها تؤرقه فى ليله، وقد ذهب عنه النوم، كما تتراءى له صورتها فى عيونه، ويستحضرها فكره فلا تستطيع الجفون أن تغفو، فتراه يؤكد على هذه الحادثة بأسلوب القصر « إنما الفكر فى الأجفان...» فقد قصر

(١) الديوان: صـ ٦٤.
(٢) ص: الآية (٣٢).
(٣) الديوان: صـ ٣٣٧.

سيطرة صورتها فى عيونه كما يسيطر الفكر على عقله، ويعد القصر « من أساليب التوكيد وتقرير الكلام، وتمكينه فى الذهن لدفع ما فيه من إنكار أو شك »[1]، وقد اختار الشاعر طريق (إنما) دون سواه، لأنها تؤدي إلى الغرض المقصود من غير أن تذكر الطرف
المقابل ، ولأن الحكم معها من شأنه ألا يجهله المخاطب ، كما نجده اعتمد على الطباق في قوله : (النوم ـ الأرق الكذب . الصدق ) ولا يخفى ما للطباق من أثر في تأكيد المعنى وإظهاره في صورة واضحة .
و قوله: [2]

**كَيْفَ التَخَلُص مِنْ فَواتر أَعْيُن يُلْقَى حَبَائِل سَحْرَها هَارُوت**

يتساءل الشاعر متعجباً كيف له التخلص من هوى تلك المحبوبة التي تتسم بالجمال، فهي تلقى بحبائلها على كل من رآها، كأنها تسحر من يراها بسحر هاروت، ودخول الاستفهام التعجبي على الجملة الاسمية دليل على استمرار التعجب وثبوته باستمرار مضمون هذه الجملة، أي أن التعجب قائم ما دام النظر إليها قائم. وهو فى قوله هذا قد اقتبسه من قوله: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ [3] وفي هذا دليل على سعة ثقافة الشاعر وتدينه .
وقد اعتمد الشاعر في بيته هذا على رسمه لتلك اللوحة التعبيرية الرائعة ، فقد شبه جمال أعين المحبوبة وسحرها لكل من يراها ،بسحر هاروت مما زاد المعنى رواءً وبهاءً .

## رابعاً: الاستفهام في الحنين للشباب وبغض الشيب.

(١) الإيضاح، ٣، صـ ٥.
(٢) الديوان: صـ ٧٢.
(٣) البقرة: من الآية (١٠٢).

مثل قوله: [1]

**كَيْـــفَ لا أَبْكـــى بِهَـــذا كُلَّـــه وأَنَـــا الفَاقِـــد رَيْعَـــان الشَـــبَابِ**

يبكى الشاعر على شبابه الذى ولى وضاع، لذا استخدم " كيف " الدالة على التعجب، لأن من يفقد مرحلة الشباب وهى أهم مرحلة من مراحل حياة الإنسان، جدير بأن يبكى عليه، فمهما استخدم من وسائل لإبراز شبابه وملامح الفتوة والعنفوان، فلن يعود "إليه الشباب مرة أخرى، فما ذهب لن يعود، فالشباب ليس بالملامح فقط، إنما هو بالقوة والنشاط.

و قوله: [2]

**هـــل تـــرد الأيـــام حســـنى ومـــن لـــي بكمـــــال الهـــــلال بعـــــد الســـــرار**

يصف الشاعر مدى حزنه وأساه على فقدان شبابه وجماله بعد تقدم العمر به، لذا نجده استخدم الاستفهام بـ " هل " والذى أفاد معنى النفى أي: « ما ترد الأيام حسنى.....» وتلك حقيقة ثابتة لطبيعة الحياة والبشر، فكل إنسان لابد أن يمر بعدة مراحل من طفولة، وشباب وشيخوخة ، وإذا تجاوز مرحلة فلن يستطيع أن يرجع إليها مرة أخرى، فهذه هي حقيقة الوجود، فالأسلوب هذا يخفى وراءه حساً متقداً بالوجع والأسى لفراق الشباب والجمال ، ثم يتساءل مرة أخرى بقوله : ( من لي بكمال الهلال بعد السرار؟)، للدلالة على الاستبعاد ، أي هل يستطيع أحد أن يرد عليه شبابه مرة أخرى فهذا أمر مستحيل بل مستبعد ، كاستحالة عودة اكتمال الهلال بعد السرار ، كما اعتمد على الطباق في قوله : ( كمال الهلال بعد السرار) أي اكتمال الهلال ونقصانه، مما زاد الصورة إيضاحاً وبهاءً .

و قوله: [3]

**مِـــنْ أَيْـــنَ أَرْجَـــو أَنْ أَفُـــوزَ بِسَـــلْمِها وَالحَـــرْبُ بَـــيْنَ شَـــبَابِها ومَشِـــيبَتِى**

(١) الديوان: صـ ٦١.
(٢) الديوان: صـ ٢٢٩.
(٣) الديوان: صـ ٥٨.

يتحسر الشاعر على شبابه الذى ولى مستخدماً أسلوب الاستفهام " من أين...." للدلالة على حيرته مما يجده فى حياته من أمور مؤلمة ولكنه يتخطاها بحزم وقوة، فمحبوبته ابتعدت عنه بسبب الشيب الذى اكتسى به شعره، فقد ولى عهد الشباب والجمال والفتوة ، وجاء عهد الشيب والضعف والهرم، وقد اتكأ الشاعر فى إيضاح المعنى وإبرازه عن طريق التضاد الذى بنى عليه بيته فقد طابق بين " السلم، والحرب " وبين " الشباب، والمشيب "، وكل من هذه الكلمات المتضادة تظهر الصراع الشديد الواقع فيه الشاعر بين عهدي الشباب والمشيب، هذا الصراع الذى لا ينتهى، لأنه صراع بين الشباب والشيخوخة، وبين السلم والحرب فهو صراع دائم ومستمر.

و قوله: (١)

**مَنْ أَسْتَعِينِ بِهِ عَلَى فَرْطِ الأسَى فأنَا الذِي بِجَنَايَتِى عُودِيت**

تسيطر على الشاعر حالة الحزن، فيحترق قلبه بنار الأسى، من شدة الوجد الذى يجده بسبب الهوى، وحينما يجد الصدود من محبوبته لتقدمه فى السن، فإنه يشعر بالألم والشقاء، لأنه يهجر من المحبوبة لأجل الشيب الذى لا يستطيع التحكم به، فقد هجرته لأنه هاجر سن الشباب، وبدأ ينتقل تدريجياً إلى الشيخوخة، وبينما كان يستعين بمحبوبته لنسيان أساه ومصائبه، فقد أصبحت مصدر أسى له، لذا تساءل الشاعر متعجباً ويملؤه الأسى والحزن على من يعينه على ما هو فيه من الأسى والشيب ؟.

وقوله : (٢)

**وأنكرتِ إلمامَ المشيبِ بلمتي وأيّ صباحٍ في دجى غيرِ مسفرِ**

يصور الشاعر حاله مع المشيب ونفور محبوبته عنه عندما رأت الشيب يغزو رأسه ، مستنكراً عليها فعلتها هذه من خلال قوله : (وأيّ صباح) فقد خرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى الإنكار ، وهو في محاولة استنكار نفورها وإقامة الحجة عليها ، لجأ إلى التشبيه الضمني الذي يحتاج إلى إعمال فكر للتعرف إلى العلاقة بين المشبه والمشبه به ، حيث وجد في ظهور الصباح بعد

(١) الديوان: صـ٧٣.
(٢)الديوان : صـ٥٥١

زوال الظلام حجة قوية يحاجج بها المرأة التي تنكر عليه شيبه ، كما أن الصباح بضيائه الفضي يأتي بعد الظلام ذو اللون الأسود ، فهذه سنة الحياة ، فلماذا تستنكره هذه المرأة ؟؟ وفي اختيار الشاعر لهذا التشبيه دون سواه ليدلل به على وجود الصباح بعد ذهاب الليل جعل للصورة وقع في النفس ، إضافة إلى الجناس في قوله : ( إلمام . لمتي) الذي أكسب البيت حركة وإيقاعاً يتكرر بتكرار الأصوات نفسها .

**خامساً: الاستفهام فى الحكمة والزهد:**

يقول ابن حمديس: (١)

**مَا الذِى أَعْدَدَت للمَوت فقد ... قَدْرالمَوْت بلا شَك عَلَيْكَ**

يتساءل الشاعر عمَّ أعد للموت من عمل صالح يلقى به وجه الله، فقد قدر الله سبحانه على عباده الموت والفناء، لذا استخدم الاستفهام بـ " ما " وقد أفاد الاستفهام معنى الإنكار فهو يغرق فى اللهو واقتراف الآثام، فقد لهته الحياة الدنيا عن آخرته، لذا توجه بسؤال نفسه، ما الذي أعددت للموت ؟ فالدنيا زائلة والآخرة باقية بلا شك، فما من إنسان معمر فى هذه الحياة الدنيا، فإذا جاء قضاء الله، فلا راد لقضائه سبحانه، فهو من بيده تصريف الأمور، وفي قوله :( قدر الموت بلا شك عليك) تقديم وتأخير ، إذ أصل الكلام أن يقال :( فقد قدر عليك الموت ) ولكنه قدم الموت وذلك للاهتمام به ولتأكيد غرضه الذي ساق من أجله الكلام وهو : أن الحياة لا تدوم لأحد.

و قوله: (٢)

**كَيْفَ تَرْجُو أَنْ تَكُون سَعِيداً ... وأَرَى فَعْلُكَ فِعل شَقِى**

**فاسْأل الرحْمَةَ رَبّاً عَظِيماً ... وَسِعَت رَحْمَتُه كُلْ شيء**

دخلت " كيف " الاستفهامية على فعل مضارع " ترجو " وتضمن الاستفهام بها إنكاراً لفعل يرى الشاعر أنه لا ينبغي أن يكون ، وهو تمنيه أن يكون سعيداً، بالرغم من فعله للسيئات وارتكابه الآثام ، ثم يطلب سؤال رب العالمين بالرحمة

(١) الديوان: صـ ٣٤٦.

(٢) الديوان: صـ.

فى قوله : « فاسأل الرحمة» ، وهو فعل أمر خرج للنصح والإرشاد، عساه أن يتوجه إلى رب العالمين بالدعاء والتوبة، فيغفر له، ويتوب عليه، فهو رب عظيم وسعت رحمته كل شيء.

و قوله: (١)

مَـــاذَا تَقُـــول وَلَـــج البَحْـــر يَسْـــحَبه ... إنْ السَـــفِينة لا تجـــرى علـــى اليَـــبْسِ

قـف بـالتفكر يـا هـذا علـى زمـــن ... جـــم الخطـــوبِ ومثـل صـرفه وقـس

يتحسر الشاعر على فقده لمحبوبته جوهرة والتي أخذها البحر منه، لذا استخدم " ماذا " الاستفهامية للدلالة على الإنكار والتحسر، فهو ينكر على البحر فعلته بجاريته وحرمانه منها، ولكن ليس هذا بمستغرب على البحر فالسفينة لا تجرى على اليبس فقد شبه فعل البحر بجاريته وإغراقه إياها وتلك الأيام المضطربة التي عاشها والتي مرت عليه بحال السفينة التي تجرى على اليبس محاولة منه على تأكيد كلامه ، وهو ما يعرف بالتشبيه الضمني وهو في هذا البيت متأثر بقول أبي العتاهية: (٢)

تَرْجُـو النَجَـاة وَلَـمْ تسَـلْكُ مَسَـالِكُها ... إنْ السَـــفِينة لا تَجـــرِى علـــى اليَـــبْسِ

لا تـأمن المـوت في طـــرفٍ ولا نفـسٍ ... وإن تمنـــعت بالحجـاب والحـــرس

فقد وظف أبو العتاهية التشبيه الضمني بين الشطرين، ليبرهن من خلال الشطر الثاني على صحة ما قاله فى الشطر الأول، فالإنسان الذى يرجو النجاة ولا يفعل فعل من يريدها ولا يأخذ بالأسباب ، كان كمن يضع السفينة على اليابسة ويريدها أن تسير، وقد أخذ ابن حمديس الشطر الثاني ليضيفه إلى بيته، وهذا ما يعرف باسم التناص الأدبي.

## سادساً: الاستفهام فى المدح:

(١) الديوان: صـ ٢٨٥.

(٢) ديوان أبى العتاهية: /إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية، ت/ ٢١١هـ، بيروت دار صادر صـ٢٣٠.

يقول ابن حمديس: (١)

**فَنَـــدَاه البَحـــر، والبَحـــر مَتَـــى تَعْصِـــفِ الـــرِيحُ عَلَيـــه يزِيـــد**

يمدح الشاعر المعتمد ويصفه بالكرم والسخاء، فقد شبه كرم وعطاء المعتمد بالبحر فى كثرة ما يعطى، ولم يكتف بذلك، بل جعل ممدوحه يفوق البحر فى الكرم، فالبحر كلما هبت الريح والعواصف يكثر زبده، الذى يذهب جفاءً، بينما كلما كثر طالبو المعتمد كثرت عطاياه وازداد كرمه وخيره الذى يبذله للناس، وبذلك تظهر براعة ابن حمديس فى اختيار ملامح الصورة لتظهر العطاء وقت المحنة على قوتها، وتزداد مكانة الممدوح بمدحه له، وقد استخدم أداة الاستفهام " متى " للدلالة على التعظيم والمبالغة فى المدح وعلو القدر.

و قوله: (٢)

**كَيْـفَ لاَ يُمْلـى عَلَـى النَـاس العُـلا مُسْـتَمد مـن عُـلا المُعْتضِـد**

دخلت أداة الاستفهام " كيف " على المضارع المنفى " لا يملى " فأفاد الاستفهام بها معنى الإنكار لفعل يرى الشاعر أنه لا ينبغي أن يكون وهو نفى ألاَّ يعلو الناس لأن علوهم مستمد من المعتضد فالاستفهام هنا فيه دلالة على التعظيم من شأن الممدوح.

و قوله: (٣)

**وَمَـنْ ذا يَـرُد البَحْـر فَـيْض مـدِه إذَا عَـبَ مِنْـه بالجَنَائِـب مَـا عَـبَ**

يتساءل الشاعر متعجباً ومتسائلا : هل يوجد هناك من هو أكرم من الممدوح؟، فلقد فاق الممدوح البحر الذى يضرب به المثل فى الكرم، وقد اتكأ على أسلوب التشبيه فى إيضاح ذلك، حيث شبه ابن حمديس ممدوحه بالبحر إذا أفاض أو أصابه المد والجزر، وذلك للمبالغة فى كثرة عطاياه، لذا نجد الاستفهام قد خرج من معناه إلى التعظيم والمدح فممدوحه لا يجاريه فى عطائه أحد.

هذا .....

---

(١) الديوان: صـ ١٤١.
(٢) الديوان: صـ ١٤٠.
(٣) الديوان: صـ ٥٢.

وبعد تلك الرحلة فى أسلوب الاستفهام عند ابن حمديس نجده، ركن من أركان بناء شعره ، فلقد تنوعت أدوات الاستفهام عنده ، لكن كان أكثرها الهمزة ويليها " هل " ، كما تعددت أغراضه البلاغية، لكن كان أكثرها للتقرير الذى ينتزع المعاني الإنسانية من مضمرات النفوس، لكن الشعراء هم الأقدر من بين سائر الناس على إبراز هذه المعاني فى صور شعرية رائقة.

# الفصل الثاني
# أسلوب الأمر والنهى
# في شعر ابن حمديس

**وفيه ستة مباحث:**

**أولاً: الأمر والنهى في الوصف.**

**ثانياً: الأمر والنهى في الحنين إلى الديار والشباب.**

**ثالثاً: الأمر والنهى في الرثاء.**

**رابعاً: الأمر والنهى في المدح والغزل.**

## أولاً : معنى الأمر:

هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء، وقد اختلف البلاغيون فيما يستعمل فيه أسلوب الأمر ؛ فيرى البعض أنه يستعمل فى الوجوب، وأن المراد به الإلزام والتكليف، وبعضهم يرى أنه للندب، وآخرون يرون أنه يستعمل فى معنى يشمل الوجوب والندب وهو الطلب على جهة الاستعلاء، ويرى آخرون أنه من الألفاظ المشتركة بين الوجوب والندب فقط، أو بين الوجوب والندب والإباحة، أو لمعنى يشملها، مثل الإذن. (١)

ولهذا نجد الخطيب القزويني يحتاط عند تعريفه للأمر، حيث قال: والأظهر أن صيغته مِن المقترنة باللام، نحو: ليحضر زيد، وغيرها، نحو: أكرم عمراً ورويداً بكراً، موضوعة لطلب الفعل استعلاء ؛ لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك، وتوقف ما سواه. على القرينة. (٢)

## وللأمر صيغ أربع هي:

(١) فعل الأمر، كقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (٣)

(٢) المضارع المقترن بلام الأمر، كقوله تعالى: ﴿ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ (٤)

(٣) اسم فعل الأمر، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ (٥)

(٤) المصدر النائب عن فعل الأمر: كقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ (٦)

---

(١) انظر: شروح التلخيص، ج٢، صـ ٣١٠.
(٢) الإيضاح، صـ ١٤٧.
(٣) الزمر: الآية (٦٦).
(٤) النساء: من الآية (٧٤).
(٥) المائدة: من الآية (١٠٥).
(٦) الإسراء: من الآية (٢٣).

والأصل فى صيغ الأمر أن تستعمل فى طلب حصول الفعل على سبيل التكليف والإلزام من الأعلى إلى الأدنى ؛ لأن هذا هو المتبادر إلى الذهن عند سماعها، وقد تستعمل فى غير هذا الأصل الذى وضعت له، فتفيد معانى بلاغية كثيرة يرشدنا إليها سياق الكلام وقرائن الأحوال، ومن هذه المعاني:

(١) الدعاء: كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾[١]

(٢) الإرشاد: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[٢]

(٣) الإباحة: كقولك فى مقام الإذن: جالس الحسن، أو ابن سيرين.

(٤) التعجيز: كقوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾[٣]

(٥) التحقير والإهانة كقوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[٤]

(٦) التمنى: كقول امرئ القيس :

**ألاَ أيُّهَــا اللَّيْــلُ الطَّوِيــلُ ألاَ انْجَــلِ بصــبح، ومــا الإصــباح منــك بأمثــل**

وسوف أتعرض لتحليل المعاني البلاغية للأمر في شعر ابن حمديس فيما بعد من خلال الدراسة الموضوعية فى المباحث الأتية.

**النهى**:

هو طلب الكفّ عن الفعل على جهة الاستعلاء، وله صيغة واحدة، وهى المضارع المقرون بلا الناهية. وقد تخرج صيغة النهى عن معناها الأصلى – وهو طلب الكف – إلى معانٍ تعرف بالقرائن وتستفاد من السياق، ومنها:

---

(١) آل عمران: من الآية (١٩٣).
(٢) لقمان: الآية (١٧).
(٣) الرحمن: الآية (٣٣).
(٤) الدخان: الآية (٤٩).

(١) الدعاء: كما في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾[١]

(٢) التوبيخ: كقول الشاعر:

**لا تنهَ عن خلق وتأتى مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيم**

(٣) وقد يفيد النهى معنى التفظيع والتهويل، كقولك: لا تسأل عن فلان وقاك الله شر ما أصيب به، تريد: أن فلاناً هذا قد ألمت به الشدائد، وأحاطت به المصائب التى لا توصف لشدتها وهولها.

(٤) التحقير والتقليل: كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾[٢]

إلى غير ذلك من المعانى البلاغية التى يفيدها النهى.

## أولاً : الأمر والنهى في الوصف:

كقوله: [٣]

**عَلِّلِ النَّفْسَ بِرَيْحَانٍ وَرَاحْ ... وَاطِّعِ سَاقِيهَا وَاعْصِ اللَّوَاحْ**

**وَأَدِرْ حَمْرَاءَ يَسْرِي لُطْفُاً ... سُكْرُهَا مِنْ شَمِّهَا كُلُّ صَاحْ**

**فِي حَدِيقٍ عُرِّسَ الغَيْثُ بِهِ ... عَبَقُ الأَرْوَاحِ مُوشِي البِطَاحْ**

يلجأ الشاعر إلى الطبيعة كلما ضاق به الحال، فها هو ذا يتجه إليها فى شربه ولهوه، ويعلل نفسه بالريحان، قبل أن يتجه إلى شربه للخمر، فالشاعر يستحضر الأزهار والورود والريحان ويرى أنها بعبقها وأريجها تكون سبباً فى تعلله، ففى الوقت الذى يتمتع فيه الشاعر بالخمرة وشربها، ويلهو متناسياً همومه، لا تلبث الورود تذكره بوطنه السليب، وقد استخدم الشاعر فى التعبير عن هذا المعنى، فعل الأمر " علل، اطع، اعص، أدر " وكلها، أفعال أمر لا يقصد بها الإلزام، وإنما جئ بها لتحمل معنى الالتماس، بجانب إفادتها للحزن والألم، الذي يعتري

(١) البقرة: من الآية (٢٨٦).
(٢) طه: من الآية (١٣١).
(٣) الديوان: صـ٨٣.

الشاعر لفقده وطنه وذويه، فلم يجد بُداً من نسيانهم إلا عن طريق اللهو والشراب، وبالرغم من اتباعه لهذه السبل إلا أنه لم يزل يتذكر وطنه وما حدث له ولهم.

كما نجد الجناس في قوله (ريحان) ، (راح) فلم يأت لمجرد الحلية الشكلية ، وإنما اقتضاه المقام الذي يظهر فيه جمال الطبيعة وما توفر له من صنوف النعم ، ومن ثم كان حسناً مقبولاً يجعل " الذهن ينتقل بين المعاني المختلفة ، وهو مستمتع بحرس موسيقي ينساب من الألفاظ المتشابهة المتجانسة "[1] التي تجمل الأسلوب وتحسنه ، وقد تعاضد السجع مع الجناس تطريباً يكسى به اللفظ حلية ، والمعنى قوة ، بين **(بِرَيْحانٍ وَرَاح)** و **(وَاعْصِ اللَوَاح)** .

كما أن قوله : **(وَأَدِر حَمْرَاءَ يَسْرِي لُطْفَاً)** كناية عن الخمر وشربها ، داعياً جلسائه للاستمتاع بها، فنجح بذلك في رسم صورة كناية مؤثرة للنص أراد من خلالها تحفيز الحضور على اللهو والشرب.

و قوله: "[2]

**وَاعْمُـــر بِقَصْـــرِ المُلْـــكِ نَادِيـــكَ ... الـــذِي أَضْـــحَى بِمَجْـــدِكَ بِيتـــه مَعْمُـــوراً**

**قَصْـــر لَـــو أَنْـــكَ قَـــدْ كَحَلْـــت بِنُـــورِه ... أَعْمَـــى لَعَـــادَ إِلى المُقَـــامِ بَصـــيَرا**

يصف الشاعر قصراً يسكن فيه ممدوحه، فهو رجل معروف بالكرم الشديد، وقد أصبح هذا القصر نتيجة لكرمه الغزير معموراً بالناس الطالبين المنح والعطايا، وقد تجاوز كرمه وعطاياه المدى، لدرجة أن الأعمى لو كحل بنوره لعاد إلى المقام بصيرا، لذا نجد قوله :" اعمر " أمر خرج من الإلزام إلى التعظيم والمدح، للمبالغة في كرم الممدوح.

كما نجد في قوله (الأعمى)، (بصيرا) طباق بين اسمين ، ساعد على تأكيد المعنى وتثبيته في نفس السامع .

---

(١) البلاغة والتحليل الأدبي / د: أحمد أبو حاقة صـ ١٩٧، دار العلم للملايين ، وينظر في : أسرار البلاغة صـ ٧.

(٢) الديوان /صـ ٥٤٥.

و قوله: "[1]

دَعُـوا النَّـومَ إِنِّـي أَخَـافُ أَنْ تَدُوْسَـكُمْ دَوَاةٍ وَأَنْـتُم في الأمَـانِي مَـعَ الحُلُـمِ

فَـرُدُّوا وُجُـوهَ الخَيْـلِ نَحْـوَ كَرِيْهَـةٍ مُصَـرِّحَةً في الـرُّومِ بالثُّكـلِ واليُـتْمِ

رأى الشاعر أن الخطر محدق بأهله وذويه فى سفاقس، وهم فى غفلة من ذلك، لذا طلب منهم أن يدعوا النوم، لأنهم ينامون ويحلمون بأمانى بعيدة المنال، وبعيدة عن الواقع الذى يدور حولهم، بينما العدو يتعقبهم وهم فى غفلة نائمون، فالعدو متربص بهم، يحتاج لصده ورده، فهم في أشد الحاجة إلى اليقظة والانتباه، لا إلى النوم والاسترخاء، لذا طلب منهم ذلك عن طريق الأمر والذى أفاد التوبيخ بجانب الحث على فعل الشيء وهو " الجهاد " ، كما اتكأ الشاعر على المجاز المرسل لتأكيد كلامه بجانب الأسلوب الإنشائى، فقد أطلق السبب وهو " النوم " وأراد المسبب وهو " التخاذل والتكاسل عن نصرة الوطن والدفاع عنه والتضحية من أجله.

ثم نراه ينصح الشاعر قومه بأن يستيقظوا من غفلتهم، بدلاً من تخاذلهم وكسلهم عن الدفاع والتصدي للعدو، فعليهم ألا يفعلوا مثل ما فعل هو من قبل، حيث هجر وطنه وتركه، طلباً للمجد والعلو، فهو لم يلتفت لمقاومة العدو " الاحتلال الروماني" وآثر الرحيل إلى الأندلس، فكان أولى به أن يتوجه إلى الجهاد والمقاومة، لذا أخذ ينصح أهل بلده من خلال فعل الأمر " فردوا " عساه أن يحثهم على الجهاد والمقاومة ليردوا الخيل، ويذيقوا أهلها " الروم " باليتم والثكل.

ولم يكتف الشاعر بذلك ، بل أخذ ينصح قومه ويحثهم على المقاومة والجهاد من أجل وطنهم:

وَصُـوْلُوا بِبِـيضٍ فِـي العَجَـاجِ كَأَنْهَـا بُـرُوقٌ بِضَـربِ الهَـامِ مُحَمَّـرةُ السَّـجْمِ[2]

يستكمل الشاعر مسيرته مع قومه فى إشعال حماسهم، فهو لم يرد منهم مجرد الدفاع والمقاومة، بل طلب منهم أن يكونوا مهاجمين، وذلك بحمل سيوفهم

(١) الديوان /صـ ٤١٦ .
(٢) الديوان: صـ ٤٠٢.

القاطعة للقضاء عليهم وإبادتهم، فقوله :" صولوا " أمر خرج للنصح والإرشاد إلى جانب إلهاب الحماسة، وقد اتكأ الشاعر فى تعبيره عن هذا المعنى إلى التشبيه، حيث شبه سيوف قومه القاطعة بالبروق اللامعة المشتعلة التى تضرب الهام وتحمر السجم لشدتها وضراوتها وقد أضفي التشبيه على الكلام رونقاَ وجمالا، وقد أحسن الشاعر في استخدامه ، فللتشبيه علوق شديد بنفس قائله ، فالسيوف مصدر القوة ونفاذ الأمر ، ومؤاخذة المسيء، والبروق مصدر للإيلام الضرب الشديد ، فهو يعبر عن خوفه وقلقه على قومه مذكراً إياهم بقوتهم ومضاء عزيمتهم .

و قوله: (١)

**رَفَعْتُ لِسَانِي بِالقِيَامَةِ قَدْ أَتَتْ ... أَلاَ فَانْظُرُوا هَذِي الجِبَالَ تَسِيرُ**

سجن المعتمد، فأخذ الشاعر يبكيه بعد زوال ملكه وأفول دولته، وما صارت إليه أحوال البلاد من بعده، فظن أن القيامة قد أتت ودلل على ذلك بقوله: " هذى الجبال تسير " تشبيهاً للمعتمد بتلك الجبال الراسية، فمد حدث له من سجن كأنه تحريك لهذه الجبال الرواسي، وتسيير الجبال علامة من علامات يوم القيامة، وفي هذا مبالغة شديدة لمكانة هذا الممدوح، وهول ما فعله الأعداء به، لذا نجد فعل الأمر " فانظروا " أفاد معنى الحزن والحسرة على سجنه، كما أن الفاء فى " فانظروا " فيها معنى المفاجأة والمباغتة، فالمعتمد ذلك البطل القوى الذى يرد حدة الأعداء، تأتى فجأة صروف الدهر وأحداثه فتغلبه، ويصبح مسجوناً خلف القضبان، كما أن في قوله : " الجبال " كناية عن المعتمد بن عباد، فهو كالجبل الراسى في بلاد الأندلس فقد كنى عن جلل الخطب وروعة الموقف والدهشة (بسير الجبال)' وإذ ذاك يرى أن القيامة قد أتت وأن الجبال تسير ، وقد أسس الشاعر صورته الشعرية تلك من خلال توظيف المفردات الدينية في ذكر فضائل

(١) الديوان: صـ ٢٦٩.
(٢) التكوير : الآية ٣
(٣) ديوان المعتمد بن عباد : تحقيق د/ إحسان عباس / دار صادر/ بيروت / لبنان / ٣١٣ .

الممدوح ، موظفاً قوله تعالى في الآية : " وإذا الجبال سيرت" (٢) وهذا ما يعرف بالتناص الديني ، كما أن هذا البيت أيضاً إحالة إلى قول شاعر أندلسي عاصره ، وهو المعتمد ابن عباد في قصيدته الزهدية : (٣)

**أقول وإني مهطعُ خوف صيحة يجيب بها كلَّ إلى الله داعياً**

**أسير جبال وانتشار كواكب دنّا من شروط الحشر ما كان نائياً**

وبهذا نجد الشاعر قد استطاع أن يكشف عن مدى حزنه على ما حدث للمعتمد، فهو يستحق استمرار الحزن عليه.

و قوله: (١)

**وَتَالٍ مَنْ القُرآن "قُلْ لَنْ يُصِيبُنَا" وَقَدْ حَان مِنْ زَهْر النجُوم غُرُوبُهَا**

يصف ابن حمديس عقرباً خائفاً منه، كما يصف الحال التى يصبح عليها من يراه أمامه، حيث يلجأ إلى الله، داعياً وتالياً للقرآن الكريم، ليظهر إيمانه بقدر الله، ومتأملاً ألا يصيبه مكروه من العقرب، فالأمر هنا خرج من معناه الحقيقى " قل لن يصيبنا " إلى معنى التمني.

وفى قوله " قل لن يصيبنا " تناص دينى، وهذا دليل على أن الشاعر يوظف هذا التناص فى موضعه الصحيح، فهو من قوله تعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾(٢)، فهو إنسان مؤمن بقدر الله.

و قوله: (٣)

**خلّنى أَفْنِ شَبَابِى مَرَحاً لا يُرَدّ المهرُ عن طَبْع المراح**

لقد اتخذ ابن حمديس الخمر كمصدر للهو والمرح والنشوة والاستمتاع بمرحلة الشباب، لذا نجده يجرد من نفسه شخصاً يخاطبه على وجه الالتماس، متمنياً إفناء الشباب باللهو والمرح وبما تفعله الخمر فى النفس من نشوة وسعادة.

---

(١) الديوان: صـ ٤٣.
(٢) التوبة: من الآية (٥١).
(٣) الديوان: صـ ٨٣.

وقد اتكأ الشاعر في استكمال صورته تللك على الجناس في قوله : (مرح) و(مراح) مما أحدث جرساً موسيقياً أخاذاً وأكد الفكرة المسيطرة على الشاعر.

و قوله: [1]

**فاسقني عَنْ إذْنِ سُلطانِ الهَوَى لَيْسَ يَشفى الرّوحَ إلاّ كأسُ راح**

يخاطب الشاعر ندماءه، ويأمرهم على وجه الالتماس بأن يسقوه من رحيق هذا الخمر، كى تشفى روحه، وينطلق فى حياته انطلاق السعداء، فهو يريد بذلك أن يغتنم اللحظة بحذافيرها، ويغتنم صفاء الحياة، ويتلذذ بما فيها من نعيم، لأنه يريد أن يعيش حياة رغيدة يذكر منها اللحظات السعيدة ، وفي قوله (روح) و(راح ) جناس ساعد على إضفاء الجمال على العبارة فالبرغم من تشابه الألفاظ إلا أن معناهما مختلف ، لذا لجأ الشاعر إلى استخدام مثل تلك الألفاظ لسهولتها في النطق ولتأديتها المعنى المراد منها .

و قوله: [2]

**وَاغْتَنِم مِنْ كُل عَيْش صَفْوِه فَأَلَذْ العَيْشْ يُغْتَنَمِ**

بدأ الشاعر بيته بفعل الأمر " اغتنم " الذى أفاد النصح والإرشاد فهو ينصح الإنسان أن يغتنم اللحظة التى يعيشها بكل ما فيها ويغتنم صفاء الحياة، ويتلذذ بما فيها من نعيم، لأنه يريد أن يعيش حياة رغيدة يذكر منها اللحظات السعيدة.

ولم يكتف بذلك بل علق الأمر " اغتنم " على ألذ العيش دون سواه.

وقد اعتمد الشاعر في هذا البيت على التكرار في قوله : (اغتنم) ، ( يغتنم )، وقوله : ( عيش ) ، (العيش) وذلك لتأكيد الكلام ، فالكلام إذا تكرر تقرر.

وقد عطف الشاعر قوله : **(فَأَلَذْ العَيشْ يُغْتَنَمِ)** على ما قبلها بالفاء السببية دون سواها ، حتى لا يدع مجالاً للشك في إنكار كلامه ، كأنه قيل لماذا يغتنم الإنسان من العيش صفوه ؟ فكان السبب أن : **(أَلَذْ العَيشْ يُغْتَنَمِ )** .

و قوله: [1]

---

(١) الديوان: صـ ٨٣.

(٢) الديوان: صـ ٤٣٦.

**أَذاعَ مَنْـــهُ لِسَـــانُ الـــدَمْعِ مـــا كَتَمَـــا لَـــمْ يَبْـــكِ حَتَـــى رَأَى شَـــيْباً لَـــهُ ابْتَسَـــمَا**

**لاَ تَعْجَـــبَنْ لِـــدَمْعٍ بَـــلْ وَجْنَتَـــهُ لاَ بُـــدَ لِلقِطْـــرِ مِـــنْ أَرْضٍ إِذَا انْسَـــجَمَا**

يصف الشاعر الحالة التى أصبح عليها، فقد رأى الشيب قد انتشر فى رأسه فجعله يتأثر ويبكى لحالة الضعف التى يعيشها، وباقتراب أجله تدريجياً ليصل إلى الفناء، فبدأت دموعه تكشف هذه الخبايا التى تملأ تفكيره فقوله :" أى شيباً له ابتسما " كناية عن الكبر والمرحلة العمرية التى وصل إليها، ثم قال: " لا تعجبن " أى لا عجب من نزول الدموع على وجنتيه وعلل لعدم العجب بقوله : " لابد للقطر من أرض إذا انسجما " فحالته النفسية هذه لا يناسبها إلا الدمع حتى يستطيع أن يروح عن نفسه، لذا نجد النهى " لا تعجبن " قد أفاد النصح والتحسر على ما مضى.

و قوله: (٢)

**لاَ تُطلِقُنْـــهُ وَاجْعَـــلِ الصَـــمِتَ قَيْـــدَهُ وَصَـــيِّرْ إِذَا قَيْدَتَـــهُ سِـــجْنَهُ الفَمَـــا**

بدأ الشاعر بيته بأسلوب نهى " لا تطلقنه "ثم تلاه بصيغتى أمر " اجعل، صيّر " وما ذاك إلا للنصح والإرشاد فهو يوصى بالحرص من اللسان وعدم إطلاق العنان له فى الحديث، لأنه لابد أن يوقع صاحبه فى الخطأ، كما يجب أن نحرص على المحافظة عليه وتقييده، لنجعل الفم سجناً له، فهو كثير الخطأ، وكثير الخطأ لابد أن ينال جزاءه، وهو الحبس والسجن فى الفم، وقد أكد الشاعر كلامه من خلال نون التوكيد الخفيفة الداخلة على الفعل المضارع " لا تطلقنه ". كما اعتمد على التشبيه في تأكيد معناه حيث شبه الفم بالسجن ، حيث إن الفم يسجن اللسان ، والسجن يسجن الأشخاص الخارجين وهو تشبيه محذوف الوجه والاداة أضفي على الكلام رونقاً وجمالاً.

و قوله: (٣)

---

(١) الديوان: صـ ٤٧٠.
(٢) الديوان: صـ ٤٧٧.
(٣) الديوان: صـ ٢٧٧.

**فَيَـــا صُـــبْحُ لاَ تُقْبِـــلْ فَإِنَّـــكَ مُـــوحِشُ وَيَـــا لَيْـــلَ لاَ تُـــدْبِرْ فإنَّـــكَ مُـــؤْنِسُ**

يتوجه الشاعر إلى الصبح منادياً له بأداة النداء (يا) وهذه الأداة تتيح للشاعر أن ينفس عما بداخله من آلام وعذابات تتسرب مع مدتها المتطاولة ، راجياً إياه عدم الإقبال بقوله: " لا تقبل " وإلى الليل بعدم الإدبار " لا تدبر " فأنت أنيسى فى وحدتى، وكل من الصبح والليل غير عاقل ولكن الشاعر يتمنى أن يسمعاه ويستجيبا لما طلب منهما، لذا خرج النهى من معناه الحقيقى إلى التمني، وقد ساعد هذا الأسلوب على إبراز المعنى وتأكيده فى النفس، فضلاً عن الإيقاع الموسيقى الناتج عن التكرار وحسن التقسيم.

وفي قوله : **(يَـا صُبْحُ لاَ تُقْبِلْ)** وقوله : **(يَـا لَيْلُ لاَ تُـدْبِرْ)** استعارة مكنية حيث شبه الصبح والليل بكائن حي ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازم من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية والقرينة تخيلية .

كما نجد قوله : (تقبل) ، ( تدبر) طباق سلب ساعد على تأكيد المعنى وتثبيته في نفس السامع .

و قوله: [1]

**ولا تَرْغَـــبْ بِنَفْسِـــكَ عَـــنْ فَـــلاةٍ تَخَـــالُ سَـــرَابَ قَيْعَتِهَـــا شَـــرَابَ**

**فكَـــمْ مُلْـــكٍ يُنَـــال بخَـــوْضِ هُلْـــكٍ فَـــلا يُـــبهِمْ عليـــكَ الخَـــوْفُ بَابَـــا**

بدأ الشاعر البيت بأسلوب نهى " لا ترغب " والذى أفاد النصح والإرشاد، بألا يرغب الإنسان بنفسه عن صحراء جرداء قاحلة لا زرع فيها ولا ماء ولا خير، معتقداً أن سرابها كالشراب على طريق التشبيه حيث شبه هيئة الإنسان الذى يعتقد أن هذا الطريق فيه خير كثير فإذا ذهب فيه وجد نفسه يسير فى طريق لا نفع فيه ولا طائل من ورائه بهيئة السراب الذى يراه الظمآن من بعيد معتقداً أنه

(١) الديوان: صـ ١٥.

شراب فإذا جاءه لم يجده شيئاً فيخيب أمله ويتبدد ظنه، كما دلل على كلامه بقوله " فكمُ ملك..." فكثير من الأملاك ينالها الإنسان بعد الحروب الضارية و التي ينتج عنها كثير من القتلى والجرحى ويظل الخوف مستبداً ببابك ومعروفاً له.

وقد اعتمد الشاعر في بيته هذا على الجناس في قوله : ( سراب ، شراب) وهو جناس مصحف وقوله : ( ملك ، هلك) جناس مضارع ، ومن ثم كان حسناً مقبولاً ساعد على تجميل الأسلوب وتحسينه .

و قوله: (١)

**لا تُخْـرِجِ الشـئ عـن شـئٍ يوافقـهُ واقصـدْ بـأمركَ فـى التـدبير مَقْصَـدهُ**

**فالـدِّمْنَ فِيـهِ لنبـت الأرْض مَصْـلَحَةٌ وَلَـوْ خَلَطْـتَ بِـه الكـافُور أَفْسَـدَهُ**

بدأ الشاعر بيته بصيغة نهى " لا تخرج " وذلك لإضعاف مظهر الاهتمام على ما يطلبه الشاعر من قول، ألا وهو: عدم إخراج الشئ عن شئ يوافقه، ثم تلاه بصيغة أمر "واقصد" والغرض منهما النصح والإرشاد، فهو ينصح بالاعتدال فى كل شيء، وذلك لأن خير الأمور أوسطها، واقصد بأمرك ولا تسرف ثم ذكر دليل على ذلك بقوله "فالدمن فيه...." أى إن الدمن تستفيد منه الأرض فيصلحها، ولكن بمجرد خلطها بالكافور تفسد.

وقد اتكأ الشاعر على التكرار في قوله : ( الشيء ) و (شيء)، وقوله : (اقصد) ،(مقصده) وذلك لتأكيد كلامه وترسيخه في نفس السامع ، كما أن في قوله : ( مصلحة) ، (أفسده) طباق ساعد أيضاً علي تأكيد المعنى وتثبيته .

و قوله: (٢)

**فَـلاْ تَقْطَعُـوا عنَّـا سُـطُورَرسـالةٍ تُمَثِّـلُ لى أشخاصَـكُمْ فـى سماعهـا**

(١) الديوان: صـ ١٦٧.
(٢) الديوان: صـ ٢٩٩.

يناجى الشاعر أحبته وخلانه قائلاً لهم: ألا يقطعوا مراسلته، فهذه الرسائل التى يرسلونها له تمثل الحياة بالنسبة له، فمن خلالها تتمثل له شخوصهم فيسلى نفسه بها، ويخفف عن قلبه وطأة الحزن والألم، ومن ثم خرج النهى " فلا تقطعوا " إلى التمنى فهو يتمنى أن يتم إرسال هذه الرسائل دوماً دون انقطاع، وعساه يجد مبتغاه.

و قوله: (١)

**لاَ تتَهِمُنى فى الوَفَاء فَإِنَنى كَتَمْتُ سِرْكَ وَالدمُوع تُذيعَه**

يتوجه الشاعر إلى مخاطبه ملتمساً منه عدم اتهامه فى وفائه، ثم يؤكد على أنه قد كتم سره من خلال " إن " التوكيدية، وبالرغم من كتمانه للسر إلا أن دموعه كشفته وأذاعت الأسرار، لذا نجد النهى قد خرج من معناه إلى الالتماس.

و قوله: (٢)

**فَلاَ تَيْأسْ فللرحمنِ لُطْفٌ يُحَلَ بِيُسْرِهِ العَقْدُ الوثيق**

يخاطب الشاعر ابن عمته راداً على جواب منه، طالباً إياه بالعودة إلى وطنه وأحبته، فأخذ الشاعر يعتذر له، لعدم استطاعته للعودة، فكلما هم بالرجوع حدث له مكروه، لذا قال له " لا تيأس..." فقد تتبدل الأمور وتتغير الأحداث، فللرحمن لطف يحل بيسره العقد الوثيق، وقد أفاد أسلوب النهى " لا تيأس " معنى الأمل وبيان العاقبة، فعاقبة الصبر وعدم الجزع العفو من الرحمن.

و قوله: (٣)

---

(١) الديوان: صـ ٣١٣.
(٢) الديوان: صـ ٣٣٤.
(٣) الديوان: صـ ٣٤٨.

**لا تَـــــــأمَنَنَّ منْيَّـــــــةً إنّ عَصَـــــــاها تَقْرَعُـــــــكَ**

يتوجه الشاعر إلى المخاطب بالنصح والإرشاد إلى عدم الأمان للمنية، فكل إنسان مصيره إلى الموت، ولابد أن يأتى يوماً وتقرع عصا المنية بابه، فعلى الإنسان أن يعد العدة لهذا اليوم، وقد أكد كلامه بـ " إن " حتى لا يدع مجالاً للشك أو التردد، وكيف يتردد السامع أو يشك والموت يحدث أمام أعيننا ليل نهار، وقد اتكأ على أسلوب النهى فى توجيه النصح " لا تأمنن " وهذا مصحوباً بالتوبيخ عسى أن يتعظ من يسمع قوله هذا.

و قوله: (١)

**لاَ تَسْـــألِيه عَـــنْ الهَـــوَى وَسَـــلِى عَنْـــه إِشَـــارَةَ دَمْعَـــةِ الهَطَـــلِ**

يخاطب الشاعر محبوبته قائلاً لها: " لا تسأليه " ثم تلا أسلوب النهى أسلوب أمر " سلى " وجاءا متواليين فى سياق النصح والإرشاد بألا تسأل عن هواه لها، فحاله لا يحتاج إلى سؤال ولا إثبات، فدموعه التى تهطل منه تغنى عن السؤال، كما أنها تبين مدى حبه وشوقه لها.

و قوله: (٢)

**لاَ تَسْـــألنْ عَـــنْ بأسِـــهِ واقْـــرَأه فـــى صِـــفةِ الحديـــدِ مـــن الكتـــابِ المنـــزل**

يتحدث الشاعر عن الأمير يحيى ابن تميم بن المعز ويعدد فضائله، ويذكر خصاله الحميدة، لذا بدأ بيته بأسلوب نهى " لا تسألن " فهو يدعو مخاطبه بعدم السؤال عنه، فقوة ممدوحه وبأسه ظاهرة للعيان ويعلمها الجميع، فبأسه وشجاعته فى قوة الحديد ، ولا يخفى ما للحديد من قوة فهذه الصفة ثابتة له فى الكتاب المنزل ،وقد أكد كلامه بـ " نون التوكيد " مما يدل على علو قدر هذا الممدوح ، لذا نجد النهى قد خرج من معناه الحقيقي إلى التعظيم والفخر.

---

(١) الديوان: صـ ٣٧٢.
(٢) الديوان: صـ ٣٨٥.

و قوله: (١)

**لاَ تَجْعَلَنْ جَسَدِى لَهَا حَطَبّاً فِيهِ تحَرِّقُ منّى النَّفْسُ**

**وارْفقْ بعبدٍ، لحظةُ جَزِعٌ يومَ الحسابِ، ونُطْقُهُ همس**

يتضرع الشاعر إلى الله ﷻ بالدعاء له، فهو سبحانه ملك الملوك، لذا نجده يطلب منه سبحانه ألا يجعل جسده حطباً للنار ، وأن يرفق به وبحاله، فبيده سبحانه تصريف الأمور كيفما شاء، وقد استخدم الشاعر صيغة النهى " لا تجعلن " والذى أفاد الدعاء والتضرع لرب العالمين، إلى جانب أسلوب الالتفات الذى ساعد على أداء المعنى فقد تحدث ابن حمديس عن نفسه بضمير المتكلم فى قوله " جسدي، منى " وذلك ليخصص نفسه بهذا الدعاء الذى يتوجه به إلى الله بإبعاد جسده عن النار، ثم تحول عنه إلى ضمير الغائب فى قوله: " بعبد ، لحظه، نطفه " وذلك ليظهر ذله وخضوعه لله رب العالمين، وجزعه من يوم الحساب، وقد شكل الشاعر هذه الصورة اللمسية من قصيدته الزهدية ، والتي يذكر فيها خوفه من ملامسة النار الشديدة العاتية في الآخرة التي وقودها الناس والحجارة طالباً المغفرة والرجاء بألا تجعل جسده إحراقاً وحطباً، وفي هذه الصورة تناص ديني ، مما يحيلنا إلى قوله تعالي : " فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ" .(٢)

(١) الديوان: صـ ٢٨٣.
(٢) البقرة : أية ٢٣

## ثانياً: الأمر والنهى في الحنين إلي الديار والشباب:

قوله: [1]

وَاغْـــتَرِبْ وَارْجُ الْمُنَـــى كَـــمْ مِـــنْ فَتَـــى  مُعْـــدَمٍ نَـــالَ الْمُنَـــى بَعْـــدَ اغْتِـــرَابْ

إن ابتعاد الشاعر عن وطنه أذكى فى نفسه شعلة الحنين إلى الوطن، فانسابت القوافى على لسانه شعراً يتفجر حنيناً موشى بصدق الأحاسيس ونبل المشاعر، فكان أبلغ ما قيل فى الحنين على مر العصور، فهو صادر عن نفس معذبة ذاقت من الغربة ألوان البلاء، وعن قلب كبلته قيود الحزن « فقاس الشقاء والهوان والأسى على صقلية الحبيبة التى يسكنها الأحباب، وترحل إليها القلوب فى كل حين، إلا أنها تغربت دون رحيل، وتجشمت عناء الفراق بعد أن فر النزيل » [2]

لذا نجد الشاعر قد بدأ بيته بفعل أمر " اغترب " ثم اتبعه بأمر أخر " ارج "، حيث يطلب من المخاطب طلبين هما: " الاغتراب، ونيل المنى " وهذا الأمر ليس على حقيقته، وإنما جاء على سبيل النصح والإرشاد، لكن تنفيذ الأمر مشروط بتنفيذ الأمر الثانى، فهو لا يدعو المخاطب إلى الاغتراب لأجل الاغتراب فقط، إنما لتحقيق شرط مقدم وهو فعل الأمر " وارج " فهى دعوة للاغتراب مشروطة بالبحث عن تحقيق المنى وهو مجبر على ذلك.

وقد عطف قوله : (وارج) على قوله : (اغترب) لاتفاقهما في الانشائية لفظاً ومعنى ولا يوجد بينهما مانع من الوصل ، لذا تم الوصل بينهما للتوسط بين الكمالين .

(١) الديوان: صـ ٢٨٣.

(٢) انظر: ديزتانو، امبرتور: تاريخ الأدب العربى فى صقلية، منشورات الجامعة الأرد.نية، ١٩٦٥، صـ ١٠٢.

وفي قوله : (كم من فتى معدم ) دلالة على التكثير، أي كثير من الفتيان المعدمين الذين تخطوا هذه المرحلة وحققوا أحلامهم ، فهو يتمنى أن يكون مثلهم بعد هذا الاغتراب ، وقد أجاد الشاعر في التنغيم الموسيقي الظاهر في قوله : (واغتنم وارج المنى) وقوله ( كم من فتى معدم ) إلى جانب التكرار الواضح في البيت ، كل هذا ساعد على تأكيد فكرته وترسيخها في نفس السامع .

قوله: (١)

و قوله: (٢)

**سَلْنِى عَنْ الدُنيَا فَعِنْدِى لَهَا فِى كُل فَنْ خَبَر أَو عَيَان**

يجرد الشاعر من نفسه شخصاً يحدثه على وجه الالتماس بصيغة الأمر " سلنى " حتى يستطيع البكاء على شبابه المفقود، وحكايته مع الدنيا وهمومها، وقد اتكأ الشاعر على تكرار حرف النون بشكل لافت للنظر " سلنى، عن، الدنيا، فعندى، من، عيان" وصوت النون من الأصوات الأساسية فى تكوين الأنين الناتج عن المرض والألم والحزن، فتكراره فى هذا البيت يشير إلى المشاعر الإنسانية الحزينة التى يحسها الشاعر تجاه هذه الحياة التى خاض تجاربها وغمارها المختلفة، من الغربة والفراق والوحدة، فجعلت منه إنساناً يحمل بين طياته مسحة من الحزن العميق الذى يتغلغل فى أعماق نفسه، الذى أورثته له صروف الحياة المختلفة التى رآها فى دنياه حتى شيبته وهو صغير.

و قوله: (٣)

**فَلاَ تَخضِب مَشِيبَك للغَوانى فَتُغنِى عَنهُ نَاعِمَةٌ وَتَشْقَى**

فى هذا البيت يتوصل الشاعر إلى حقيقة لا جدال فيها ألا وهى: أن الخضاب لن يغنيه عن الشباب الحقيقى، ذلك الشباب الذى هو مصدر الأنس والحياة له، بخلاف الشيب فهو مصدر لحزنه وألمه، لذا نجده بدأ بيته بصيغة النهى " لا تخضب " وذلك على سبيل النصح والإرشاد.

---

(١) الديوان: صـ ٤٢٠.
(٢) الديوان: صـ ٥١٧.
(٣) الديوان: صـ ٣٣٩.

**ثالثاً: الأمر والنهى في الرثاء:**

قوله: (١)

**لِتَبْـــكِ عليـــاً همَّـــةٌ كَرَمِيّـــةٌ ثُنـى قَاصِـدُ والرُكْبَـانِ عـنْ رَبْعِهَـا القَصـدَا**

بدأ الشاعر بيته بفعل أمر " لتبك " ، وجاءت صيغته فعل مضارع مقترن بلام الأمر، وذلك لما فى المضارع من دلالة على الاستمرار التجددى ، الذى يعنى توالى عملية البكاء آناً بعد آن، فحق له أن يبكيه لحظة بعد لحظة، لما تميز به ممدوحه من فضل وجود، ولما حظى به من مكانة عالية، فالشاعر يأمر كل من يستمع إليه أن يبكى هذا الفقيد، والأمر بالبكاء أراد به الحث وإضفاء مظاهر الحزن النفسى التى يشعر بها لفقد الشريف الفهرى على أحمد الصقلى، لذلك قدم المفعول به علياً ليخصه بالبكاء والحزن، وللتنبيه على شدة حزنه وأساه على فقده، وقد قدم ذكر على " لأن تقديم المحدث عنه يقتضى تأكيد الخبر وتحقيق له " (٢)

وبهذا كشف ابن حمديس لنا من خلال هذا الأسلوب الإنشائى عن مكانة المرثى وخلاله الكريمة، فهو رجل ذو ملك وصاحب شأن، لذلك فهو يستحق الرثاء والبكاء عليه.

كما أكمل الصورة من خلال الجناس في قوله (قاصد ، قصدا) الذي أضفى على كلامه نغماً موسيقياً أخاذاً.

و قوله: (٣)

**ونَاحَـــتْ هَـــذِهِ الـــدُنْيَا عَلَيْـــهِ فظَـــنَّ نياحهـــا شَـــدْوَ القَـــرِيضِ**

**فـــلا يغـــترّ بالحـــدثانِ غُمْـــرٌ لَذِيـــذُ النَّـــوْمِ في طَـــرْفٍ غَضِـــيضِ**

يرثى الشاعر " عمر الزكومى " الذى واتته المنية بعد أن ذاع صيته في مختلف الأنحاء ، وتعالت الأصوات حسرة وألماً على فقده، حتى ظن أن نياحها وعويلها

(١) الديوان: صـ ١٦٤.
(٢) دلائل الإعجاز، صـ ١٣٣.
(٣) الديوان: صـ ٢٩٤.

شدو القريض، ثم يتوجه الشاعر بنصحه وإرشاده بعدم الاغترار بالحياة الدنيا، فسرعان ما ينقضي كل شيء ويصبح إلى فناء.

وقد عرف الشاعر المسند إليه بالإشارة في قوله : (هذه الدنيا) للتقليل والتحقير من شأنها ، فلا يغتر الإنسان بملذاتها وشواتها فهي زائلة ولا تدوم على حال.

و قوله: (١)

**فَصَبْراً فَلَيْسَ الأَجْرُ إلاّ لصابِرٍ عَلَى الدَّهْرِ إنَّ الدَّهْرِ لَمْ يَخْلُ مِنْ خَطْبِ**

استخدم الشاعر المصدر " صبراً " للدلالة على الأمر ولكنه خرج من معناه الحقيقي إلى معنى الحث على الصبر والاحتمال لذلك المصاب الأليم الذى ألم بابن عمته لفقدان أمه، فهو يرثيها ويطلب منه الصبر والاحتمال على فراقها والبعد عنها من خلال المصدر " صبراً " وهو من صيغ الأمر حيث ينوب مناب الفعل " اصبر ".

وفي قوله : ( صبرا ، صابر) جناس ناقص ساعد على إثراء المعني وتأكيده في نفس السامع .كما اتكأ على القصر الذي أكد من خلاله كلامه في قوله : (فليس الأجر إلا لصابر) فقد قصر الأجر على الصابر المحتسب قصر صفة على موصوف .

## رابعاً: الأمر والنهى في المدح والغزل:

قوله: (٢)

**إنَّ المَهَا تُمْهِي سُيُوفَ جُفونِهَا فَحَذَارِ منْهَا لَوْ يُطَاقَ حَذَارِ**

يتوجه الشاعر إلى المخاطب قائلاً له: أن يحذر من المرأة الجميلة ومن سهام نظراتها، لأن نظراتها حادة مثل السيوف، فمن يستطيع اتقاء هذه النظرات فليحذر منها، وقد كرر قوله : " حذار " التأكيد من التحذير من هذه العيون التي

(١) الديوان: صـ ٣٧.
(٢) الديوان: صـ ٢٥٨.

تطلق نظراتها كسيوف حادة قاطعة. لذا نجد قوله :" حذار " وهو اسم فعل أمر بمعنى احذر قد خرج من معناه الحقيقي إلى التحذير والبعد عن فعل الشيء.

و قوله: (١)

**قُــلْ لِمَــنْ ضَــاهَتْ الغَزَالَــةَ نُــوراً وَهْــيَ مِــنْ طِيبِهَــا غَزَالَــةُ مِســكِ**

يتحدث الشاعر عن محبوبته ويذكر أنها شديدة الجمال حيث شبهها بالشمس فى نورها ، كما جعل رائحتها طيبة أشبه برائحة المسك، كما نراه أكد هذا المعنى من خلال خروج الأمر " قل " من معناه الحقيقى إلى المدح والثناء للمبالغة فى جمال تلك المحبوبة.

كما نجد شاعرنا أعتمد على صورة رائعة لتأكيد كلامه حيث شبه تلك المحبوبة بالشمس في الضياء والإشراق كما شبه رائحتها الطيبة بالمسك في الرائحة الطيبة العطرة وهو تشبيه مكتمل الأركان ، ولم يكتف الشاعر بذلك بل نجده اعتمد على التورية في قوله: ( الغزالة ) فالغزالة تطلق على الظبية ، وهو المعنى القريب ، وتطلق على الشمس وهو المعنى البعيد المراد ، ولا يخفي ما للتورية من " بلاغة عجيبة تدل على بعد المرمى ، وفرط المقدرة ، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز والحازق الماهر"(٣)وهذا اللون من الكلام يحتاج إلى إعمال فكر ، وإنعام نظر ، والشيء إذا جاء بعد كد وطلب ، أعز مما يجيء بلا تعب ، وجماله أيضاً في أنها تجعل المعنى المراد كالوجه الجميل يظهر وراء حجاب .

كما أن في قوله : ( الغزالة . غزالة ) جناس تام ، فلفظتا (غزالة ) قد اتفقتا في نوع الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها ، مع اختلافهما في المعنى ، فالمراد بالغزالة الأولى الشمس بدليل ذكر النور ، وبالثانية ولد الظبية وقد رشح المعنى بذكر المسك ، وبهذا استطاع الشاعر أن يصور لنا جمال هذه المحبوبة الذي لا

(١) الديوان: صـ ٣٤٤.
(٣) العمدة جـ ٢٠٦/١

يضاهي من خلال تلك الأساليب المتعددة التي اجتمعت مع بعضها وتأزرت في أداء المعنى المراد .

و قوله: (١)

**لاَ تُنْكـــرِى أَنَـــكِ حُورِيـــة فَنَفْحَـــة الجَنْـــة نَمَـــت عَلَيْـــكِ**

يصف الشاعر جمال محبوبته ويجعلها أشبه بالحورية الموجودة بالجنة، فما هى إلا نفحة من نفحات الجنة، لذا يطلب منها ألا تنكر عليه ذلك، بقوله: " لا تنكرى " فالنهى هنا خرج من معناه الحقيقى إلى معنى مجازى وهو المدح والتعظيم.

وفي قوله :(أنك حورية) تشبيه حيث شبه محبوبته بالحور العين في الجمال والضياء ، وهو تشبيه محذوف الوجه والأداة .

وقد عطف الشاعر قوله : (فنفحة الجنة .....) على ما قبلها بالفاء التعليلية دون غيرها لما فيها من بيان السبب عن النهي فهي حورية بدليل أن نفحة الجنة نمت عليها .

و قوله: (٢)

**فَـــدَعِ الهِبَـــات إذا ذَكَـــرْتَ هِبَاتِـــهُ تُنْسَـــى البُحُـــورُ بِـــذِكْرِهَا الأَوْشَـــالا(٣)**

يمدح الشاعر على بن يحيى ويبالغ فى مدحه، حيث يطلب من مخاطبه بأن لا يهتم بالعطايا والمنح التى يعطيها الآخرون، لأن هبات وعطايا ممدوحه " على بن يحيى "لا مثيل لها ولا مقارنة بينها وبين غيرها، فعطاياه ومنحه تشبه البحور الكبيرة، وعطايا غيره تشبه المياه المنسابة من الجبال، وبذلك يظهر الفرق بينهم، لذا نجد الأمر فى قوله " دع " خرج من معناه الحقيقى إلى الوعظ والإرشاد مع المدح والمبالغة فى تعظيم ممدوحه.

---

(١) الديوان: صـ ٣٨٨.
(٢) الديوان: صـ ٣٨٨.
(٣) الأوشال : مياه تسيل من أعراض الجبال فتجتمع ثم تساق إلى المزارع .

و قوله: (١)

**فَصَـــلِ لِرَبِـــكَ المَعْبُـــودِ وانْحَـــرِ قُرُومَـــاً مَـــنْهُم بَعْـــدَ القُـــرُوم**

يتوجه الشاعر إلى الخليفة المعتمد ناصحاً إياه وموجهاً له بعد رجوعه من المعركة منتصراً سالماً، فيقول له: أن يصلى وينحر حمداً لله على سلامته، فجزاء السلامة شكر الله وحمده، تأسياً برسول الله ﷺ، حينما منحه الله نهر الكوثر كما ورد فى القرآن الكريم ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾(٢) وهذا يعرف بالاقتباس الديني، لذا نجد الأمر " صل، انحر " قد خرج من معناه الحقيقى إلى معنى النصح والإرشاد.

كما عطف قوله : (وانحر ) على قوله : (فصل) وذلك لاتفاقهما في الانشائية لفظاً ومعني ولا يوجد مانع من الوصل لذا عطف للتوسط بين الكمالين .

و قوله: (٣)

**أُنْظُـرِ إلَـى القَمَـرِ الـذِي فِـي دسـته فيمينُـــه تُنْـــدِي بِصَـــوْبِ غمـــام**

يمدح الشاعر على بن يحيى من خلال الاستعارة القائمة على التشبيه، حيث شبه علياً وهو جالس فى عرشه يأنس به الحاضرون بحال القمر الذى يرسل نوره وضوءه للآخرون، وقد صرح بالمشبه به " القمر " وحذف المشبه " على بن يحيى " وأبقى على صفة من صفاته وهى " دسته " على سبيل الاستعارة التصريحية المجردة لأنه ذكر ما يتعلق بالمشبه وهو "الدست "، وقد خرج الأمر " أنظر " من معناه الحقيقى إلى التعظيم والمبالغة فى المدح.

وقوله : **(فيمينُه تُنْدِي بِصَوْبِ غمام)** كناية عن شدة كرم ممدوحه وكثرة عطاياه .

---

(١) الديوان: صـ ٤٣٨.
(٢) الكوثر: الآية (٢).
(٣) الديوان: صـ ٤٣٩.

كما قدم قوله : (فيمينه) على الفعل (تندي) وذلك للدلالة على كمال العناية والاهتمام بالعطايا والمنح فهي عطايا كثيرة ومباركة ، كما أن التعبير بالمضارع أضفي على المعني التجدد والاستمرارية في العطاء ما دام هذا الممدوح موجود على قيد الحياة .

و قوله: (١)

**فَانْصُرْ وَافْخَرْ وأَدِرْ وَاشِرْ وأَبِرْ وأجرْ وأَغِرْ وَسُدْ**

يمدح الشاعر على بن يحيى بالشجاعة والكرم، لذا نجده استخدم الفعل الأمر المكرر فى قوله " انصر، افخر،، وأدر، أشر...." وقد خرج الأمر هنا من معناه الحقيقى إلى معنى المدح والحث والتحضيض على فعل الشيء، ومن خلال هذه الأفعال المتتابعة، أكد ابن حمديس المدح لعلى بن يحيى، تلك المعانى التى بطبيعتها تحتاج إلى التكرار ممن ينفذها من " فخر، نصر، إغاره، عز..." إضافة إلى شيوع حرف الراء الدال بطبيعته على التكرار، كل هذه الأمور أدق إلى تأكيد المعنى وترسيخه فى نفس الشاعر.

و قوله: (٢)

**لاَ تَلُمهُ فى عَطَايَاه التى إنْ تَرُمْ مَنْهُن نَقْصَاً تَزْدَدِ**

**فَنَداهُ البَحرُ، والبَحرُ مَتَى تَعْصِف الرِّيحُ عَلَيهِ يُزْبِد**

بدأ الشاعر بيته بأسلوب النهى " لا تلمه " حيث يمدح المعتمد بالجود والكرم ونهى عدم إلقاء اللوم عليه فى كثرة عطاياه التى يخرجها، ودلل على ذلك بأنه مهما أنفق من عطايا فإنها تزيد ولا تنقص، ثم أكد معناه هذا أيضاً بالتشبيه حيث شبه كرم وعطاء المعتمد بالبحر فى كثرة ما يعطى ولا يبخل على البشرية بشئ، ولم يكتف بذلك بل زاد من وصفه بتلك الصفة بقوله : إن البحر كلما هبت الريح والعواصف يكثر زبده، الذى يذهب جفاء، بينما كلما كثر طالبو المعتمد كثرت عطاياه وازداد كرمه، فهو أكثر جوداً وكرماً من البحر، لأنه يتغلب فى صفة

(١) الديوان: صـ ١٦٢.
(٢) الديوان: صـ ١٤١.

العطاء وقت الشدة، لذا نجد الشاعر قد استخدم أسلوب النهى " لا تلمه " فى غير معناه الحقيقى وإنما استخدمه فى معنى التوبيخ .

وإضافة إلى ما سبق فإن قوله (فنداه البحر) حيث شبه البحر بإنسان ثم حذف المشبه به وذكر لازم من لوازمه وهو النداء على سبيل الاستعارة المكنية .

كما أن في قوله (نقصاً ، وتزدد) طباق بين النقص والزيادة وفي هذا تصوير بارع لشدة كرم الممدوح في أوسع معانيه وأشمل مظاهره وأكملها .

و قوله: (١)

**سَلُونِي عَنْهُ واسْمَعُوا الصِدقَ، إنَنِي ... أُحَدِّث عَنْ هِمَّاته وَفَواضِلهْ**

**ولاَ تَسْألُونى عَنْ فَرائِضِ طُولَه ... إذَا غَمَرَ الدُنْيَا بِبَعْض نَوَافِلِهْ**

**فَأنْدَى بَنِي مَاء السَمَاء مُحَمَدُ ... وهَلْ طَلُّ مَعْرُوفِ السَّمَاءِ كَوابِلَهْ**

بدأ الشاعر بيته بفعل الأمر " سلونى " وأتبعه بأمر أخر " اسمعوا" ثم تلاهما أسلوب نهى " لا تسألونى " وذلك للدلالة على النصح والإرشاد حيث يخاطب الناس قائلاً لهم وواصفاً خصال ممدوحه من كرم وشجاعة لا مثيل لهما، كما أنه رجل عابد زاهد لله سبحانه.

كل هذه الخصال وغيرها حاول الشاعر إيصالها للمخاطبين واستخدم أسلوبى الأمر والنهى للدلالة على ذلك فوفق خير توفيق.

كما نجد الشاعر قد تأنق في استخدامه لألفاظه مما أحدث جرساً موسيقاً أخاذاً ففي قوله : ( سلوني، ولا تسألوني ) طباق سلب فالمعنيين تقابلا إيجاباً وسلباً، وفي قوله : (فواضله ونوافله ) جناس مضارع ، فالفاء في فواضله ،والنون في نوافله مختلفتان في النوع ، لكنهما متقاربان في المخرج .

كما أن الاستفهام في قوله : (وهل طل معروفك السماء كوابله)خرج إلى معنى النفي ، إذ المعنى : وما طل معروفك السماء كوابله .

وقد عطف الشاعر قوله : (**ولاَ تَسْألُونى عَنْ فَرائِضِ طُولَه**) على ما قبله لاتفاقهما في الانشائية لفظاً ومعنى لذ اتم الوصل للتوسط بين الكمالين .

(١) الديوان: صـ ٣٧١.